المقتطف ٧

الجزء السابع من المجلد السادس والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٤ ربيع الاوَّل سنة ١٣١٩

المدرسة الكلية ومكتبتها

انتهت الآن السنة الخامسة والثلاثون منذ انشئت اول مدرسة جامعة في الديار العربية بعد ما تقلَّص منها ظل العلم و بزغت شمسهُ في ربوع المغرب . أُنشئت في مدينة بيروت مرضعة الحكمة في عهد الرومان وأُوت يوم انشائها الى دار صغيرة للطيب الذكر والاثر المرحوم بطرس البستاني . دخل تلك الدار نحو ستة عشر تلميذًا واخذ رئيس المدرسة ومنشئها الدكتور دانيال بلس يلقي علينا بعض الدروس الجبرية والمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي دروس النحو والبيان من كتابيهِ نار القرى وعقد الجمان وغيرهما من الاساتذة غيرها من العلوم

وفي العام التالي جاء الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست وانضموا الى اساتذة المدرسة وشرعوا في تدريس العلوم الطبية . وبعد سنتين أُخريين — وكان قد مرَّ على المدرسة اربع سنوات — وقف خمسة في منبر الخطابة امام والي دمشق ومتصرف بيروت ووجهاء البيروتيين واللبنانيين وخطبوا في بعض المواضيع العلمية والفلسفية والادبية والاجتماعية مما تعلموهُ عن غوامض الكون وقوى العقل واسباب الارتقاء وطالبوا الحكومة بما يجب عليها نحو امتها وعاهدوا بلادهم امام ربهم ان يبذلوا النفس والنفيس في سبيل ارتقائها

وسارت المدرسة الكلية على هذا النسق سيرًا بطيئًا بقدم راسخة وبنت لها دارًا في رأس بيروت من اجمل دور العلم في اطيب بقعة من بقاع الارض تشرف على البر والبحر والجبال والوهاد . ومرَّ عليها خمس عشرة سنة وحرية القلم وحرية اللسان مطلقتان لاساتذتها وتلامذتها يؤلفون و يصنّفون وينشرون والناس يقرأُون وتستعزُّ نفوسهم بعد سني الذل المتوالية . حتى اذا زرنا القطر المصري قُبَيْل الثورة العرابية قابلنا خدويها ووزراؤُها كأَننا وفود من دار العلم

والعرفان وسفراء من بلاد الحرية والاستقلال لما كانوا يسمعونهُ عن بيروت ويقرأُونهُ في جرائدها

لكن ما اسرع ما تتغير الايام . اول خطبة عمومية تليت في دار تلك المدرسة عند توزيع شهاداتها تلوناها مطالبين الدولة بالاصلاح والامة بالسعي فصفَّق لنا والي سورية قبل غيره . وآخر شيء وصلَنا من والي سورية قبل ان غادرناها إخطارٌ رسمي بمنع حرية الصحافة

الآن المدرسة الكلية جسم حيٌّ نامٍ وهي مثل كل الاجسام الحية تعرض لها العوارض الخارجية فتضعف اولاً وتنكمش حتى اذا الفتها زال انفعالها منها وعادت الى النمو والريعان

واي نموٍّ اظهر من النمو الذي رأَتهُ في السنوات الأَخيرة فقد اتسعت مبانيها باضافة الدور الكثيرة اليها وأُنشئَ فيها قسم استعدادي كبير تعلم فيهِ مبادئُ العلوم واللغات وقسم تجاري لتخريج الشبان في ماتمس الحاجة اليهِ للنجاح في التجارة وزاد عدد تلامذتها زيادة لامثيل لها فبعد ان بقي عددهم عشرين سنة دون المئة في قسميها العلمي والطبي صار فيهما الآن ٢٢٢ تلميذاً وبلغ عدد تلامذة القسم الاستعدادي والتجاري ٣٢٢ تلميذاً. وقد بلغ عدد الذين اتموا دروسهم في قسمها العلمي حتى الآن ١٩١ وفي قسمها الطبي ١٨٣ وفي قسمها الصيدلي ٧٨ وفي قسمها الاستعدادي ٤١٦ يطرح منهم ١٦٧ لانهم درسوا في قسمين او اكثر من اقسامها فيبقى سبع مئة شاب كلهم تقريباً من رعايا الحكومة العثمانية ومنهم الآن التجار والاطباء والمحامون والمعلمون والمحررون والموظفون في الوظائف الادارية المختلفة ولهم كلهم اليد الطولى في اعادة العلم والعرفان الى ديار المشرق

وتمتاز المدرسة الكلية على غيرها من مدارس مصر والشام بترغيبها تلامذتها في المطالعة فقد اعدَّت لهم مكتبة كبيرة فيها نحو عشرين الف مجلد وضعتها في دار فسيحة كثيرة النور مطلقة الهواء ترى صورتها من الداخل في اول هذا الجزء وفيها من نخبة كتب المراجعة كالانسكلوبيذيا البريطانية والانسكلوبيذيا الاميركية وانسكلوبيذيا ريس وكتب بليني في التاريخ الطبيعي ونحو ذلك من الكتب الشهيرة التي يغني كلٌّ منها عن مكتبة كبيرة . واكثر الكتب باللغة الانكليزية ولكن فيها نحو الف مجلد باللغة العربية وبعضها من كتب الخط النادرة وفيها ايضاً الف ومئتا مجلد في العلوم الطبية ونخبة المجلاَّت العلمية بالعربية والانكليزية والفرنسوية . والتلامذة دئبون على مطالعة هذه الكتب والمجلات ولا سيما ما يتعلق منها بدروسهم حتى تتنور اذهانهم وتتسع معارفهم ولذلك يخرجون من المدرسة وقد عرفوا من تاريخ العلم والفلسفة واقوال العلماء وآرائهم ما تقصر عن استيفائهِ كتب التدريس

الغوّاصة العثمانية

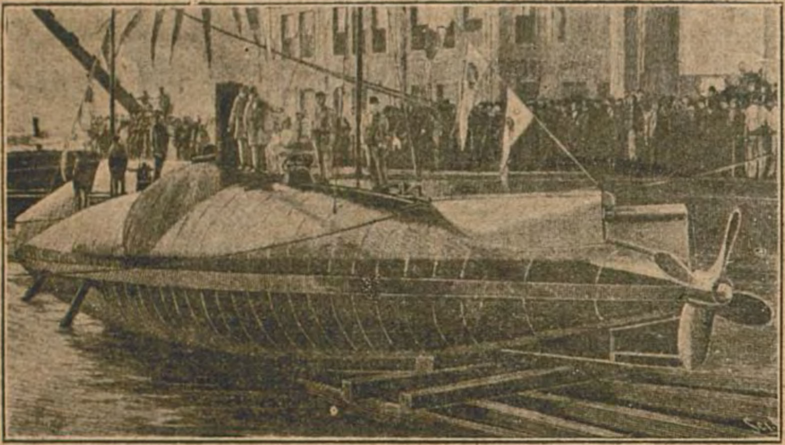

تمسُّ الحاجة الى شيءٍ من الاشياء فيبحث عنهُ المخترعون والمستنبطون ويدأبون جهدهم وهم يصنعون ما يظنونهُ وافياً بالغرض فلا يفي بهِ ولكن لا يذهب تعبهم سدى بل يكون اساساً لاستنباط آخر يمكن العمل بهِ فلا يكاد يظهر حتى يرى كل احد نفعهُ ويشيع استعمالهُ حالاً. وهذا شأن اكثر المخترعات الحديثة

وقد ابنّا في فصل سابق نشرناهُ في الجزء الثاني الصادر في غرة فبراير الماضي ان الناس شعروا بالحاجة الى سفينة تغوص تحت الماء وبذلوا جهدهم في استنباطها منذ ثلثمئة سنة ولكنهم لم يهتدوا الى عمل سفينة تفي بالغرض الأ الآن وحالما ثبت ان السفينة المطلوبة قد صُنعت اخذت الدول البحرية تهتم بعمل سفن مثلها

وقد قرأنا الآن ان رجلاً انكليزيًا اسمهُ غرت اشترك مع نوردنفلت صانع البندقية المنسوبة اليهِ وصنعا سفينة تغوص تحت الماء منذ سنة ١٨٨٨ ثم صنعا سفينة اخرى اتقناها تمام الاتقان وابتاعتها منهما الحكومة العثمانية وهي المرسومة ههنا

طول هذه السفينة مئة قدم وتفريغها ١٦٠ طنًّا وفيها آلة بخارية قوتها ٢٥٠ حصانًا وهي تسير على وجه الماء كالسفن العادية ٩٠٠ ميل بحري اي قدر ما تستطيع حملهُ من الوقود. واذا اريد ان تسير تحت الماء سدَّت مدخنتها وفتحة دخول الهواء اليها وسُحب الماء الى حياض ثلاثة فيها فتثقل وتغوص في الما . ويكون الماء حارًّا جدًّا في آلتها البخاربة فتبقى دائرة وتدفع

السفينة تحت الماء ولا يبقى ظاهرًا منها الاَّ مرقب زجاجي صغير يرى منهُ ما حولها

وغني عن البيان ان السفن الغواصة تستطيع الدنو من البوارج الكبيرة لقذف التربيد تحتها فاذا كثرت عند الدول تغيرت بها الحروب البحرية واختلف مصير العمران عما نراه عليهِ الآن

طبائع الضفدع

طبائع الحيوان غرائب في غرائب وتزيد غرابتها اذا درسها المرء درسًا مدققًا وقابل بين انواع الحيوان واصناف كل نوع منها وما يمتاز بهِ بعضها عن بعض

والضفدع من الحيوانات الحقيرة يُكرَه صوتها ولو كان تسبيحًا وتشمئز النفس من منظرها وملمسها ولو كان البعض يأكلونها ويتنافسون بلحمها . يراها كل احد مرارًا في عامهِ ولكن قلَّ من درس طبائعها من غير العلماء الراسخين . اما علماؤنا الذين تكلموا في طبائع الحيوان فقال الدميري منهم "انها تتولد من المياه القائمة الضعيفة الجري ومن العفونات وعقب الامطار الغزيرة حتى يظن انها تقع من السحاب لكثرة ما يرى منها على الاسطحة عقب المطر والريح وليس ذلك من ذكر وانثى وانما الله تعالى يخلقها في تلك الساعة من طباع تلك التربة" . وقولهُ هذا مثل كثير من اقوال المتقدمين الذين يحيلون على العلة الاولى كل ما يجهلون عللهُ الثانوية

والحقيقة ان الضفدع وكل انواع الحيوان لا تولد الاَّ من ذكر وانثى فتبيض الانثى بيضًا صغيرًا مستديرًا كما ترى عند الرقم ١ في الشكل الاول وفي كل بيضة نقطة مظلمة حولها مادة هلامية والغالب ان تكون هذه البيوض منظومة سمطًا طويلاً جدًّا كسمط اللؤلؤ طولهُ بضع اقدام. ويتصل بها اللقاح من الذكر بعد خروجها من الانثى كما يحدث في بيض السمك فتأخذ تنمو وتكبر كما ترى عند الرقم ٢ . والنقطة السوداء التي في قلبها تمتص حرارة الشمس وتنمو بالانقسام كما ينمو غيرها من الحويصلات الحية حتى تصير جسمًا مستطيلاً كما ترى فوق الرقم ٣ ثم تشق الغلاف الذي حولها وتخرج من بيوضها دعاميص صغيرة تسبح في الماء وتعلق بما فيهِ من الاعشاب كما ترى فوق الرقم ٤ . وتتولد لها خياشيم تتنفس بها كما ترى فوق الرقمين ٥ و٦ وتعود الخياشيم فتندغم فيها ويكون ذنبها دقيقًا فيكبر ويتسع وتصير مثل السمك تمامًا كما ترى فوق الرقمين ٧ و ٨ . ثم يتولد لكلٍّ منها رجلان كما ترى فوق الرقمين ٩ و ١٠ ويتولد لها يدان ايضًا كما ترى فوق

الرقم ١١ وقد تظهر يداها قبل رجليها و يقصر ذنبها فتصير اقرب الى الضفدع منها الى السمكة كما ترى فوق الرقم ١٢ واخيرًا يزول ذنبها تمامًا وتصير ضفدعًا تامة الخلقة مثل ابيها وامها وهما لا يعلمان شيئًا من امرها لانهما يتركانهما وهي بيضة بعد ان يضعاها في مكان صالح لها

هذا اذا كانت الضفدع مما يبيض بيضًا كثيرًا يكفي لحفظ النوع ولو هلك الكثير منهُ واما اذا كانت مما يبيض بيضًا قليلًا فلا تترك بيضها للطبيعة كما يترك عامة الناس اولادهم بل تعتني بهِ اعتناء خاصًّا كما يعتني الخاصة باولادهم واليك بيان ذلك لما فيهِ من الغرابة والفكاهة

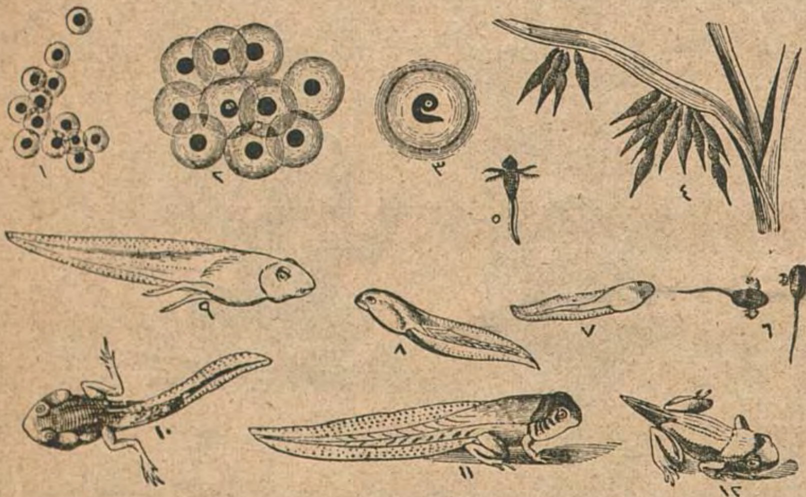

الشكل الاول

قلنا ان الضفدع تبيض بيضها في الماء وهي تختار الماء الراكد الضحضاح وكثيرًا ما يحدث ان يكون الماء بركة كبيرة يقيم الماء فيها اشهرًا فتلبث الدعاميص فيها زمانًا طويلًا وهي تنمو وتكبر مفضلة الحياة المائية على الحياة البرية حتى تصير قدر الضفدع الكبيرة ولا تطرح ذنبها لانهُ يعينها على السباحة . ويحدث ايضًا ان ينضب الماء سريعًا فتبادر الدعاميص الى التخلق باخلاق الضفادع فتنبت ايديها وارجلها ويزول ذنبها حتى اذا جفَّ الماء تمامًا مشت على اليابسة كالضفادع الكبيرة ولو كانت صغيرة كالنحل او اصغر والاول والثاني صنفان مختلفان

وقد لا تجد الضفدع ماء راكدًا لتضع بيضها فيهِ فتضعهُ تحت حجر وقاية لهُ من اشعة الشمس ويكون حينئذٍ كبيرًا جدًّا فيقضي الجنين في البيضة الطور الاول من حياتهِ الذي يحياهُ حينما يكون دعموصًا حتى اذا خرج منها خرج ضفدعًا كاملة

ومن الضفادع نوع يصنع لبيضهِ حفرةً مستديرةً قرب الماء يضعهُ فيها بعد ان يحوطهُ بشيء

من الزبد كرغوة الصابون حتى اذا خرجت الدعاميص من هذا البيض سارت الى الماء واقامت فيهِ الى ان تظهر قوائمها ويزول ذنبها . ونوع يضع بيضهُ في اوراق الاشجار ويحوطهُ بالزبد على ما تقدم ويجف ظاهر الزبد ويسيل باطنهُ فتخرج الدعاميص من البيض تسبح في السائل الذي حولها الى ان يقع عليها المطر فتنزل معهُ الى البرك التي تجتمع تحت الاشجار . وقد تلتفُّ اوراق الشجر على البيض فتقيهِ من الشمس الى ان يقع المطر فتنزل معهُ الى برك الماء

ومنها نوع يبني لبيضهِ عشًّا مستديرًا من الطين في الماء ويعليهِ رويدًا رويدًا حتى يرتفع عن سطح الماء قليلاً ويظهر فيهِ كحلقة مستديرة. تبنيهِ الانثى بيديها وزوجها جالس على ظهرها وتمسحهُ ببطنها من الداخل حتى يصير متينًا صقيلاً وتبيض فيهِ وتترك بيضها مطمئنة وتخرج الدعاميص منهُ وتبقى في العش الى ان يتهدَّم

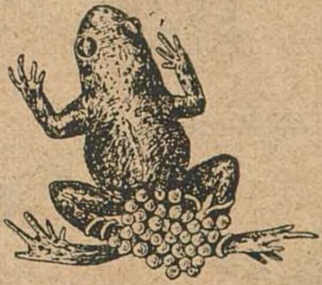

الشكل الثاني

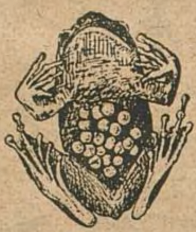

الشكل الثالث

ظهر مما تقدَّم ان الضفادع فريقان فريق يبيض بيوضًا كثيرة جدًّا ويترك بيوضهُ للطبيعة يعيش منها ما يعيش ويموت ما يموت . وفريق يتحوَّط لصغارهِ تحوُّطًا ما بحفرة يضعها فيها او كرة هلامية يحوطها بها او بيت من الطين يبنيهِ لها . وقد بقي فريق ثالث وهذا لا يترك البيوض وشأنها ولا يتحوَّط لها ويتركها بل يحتفظ بها بنفسهِ الى ان تظهر الدعاميص منها او الى ان تقوى على السعي لنفسها من ذلك الضفدع القابلة وهي برية كثيرة في سويسرا وفرنسا وغربي المانيا ومن خواصها ان الذكر منها يحمل بيض انثاه بين فخذيهِ رابطًا اياها بربائط كما ترى في الشكل الثاني ويبقى حاملاً لها الى ان يحين الوقت لخروج الدعاميص منها فيمضي بها الى الماء ويضعها فيهِ . ولا يُعلم كيف يستلقي البيض من انثاه ويربطهُ بين ساقيهِ ولكن الرباط يكون في البيض حال خروجهِ من الانثى كما هو معلوم في حبل القز

ويقال ان الذكر يجلس وراء الانثى ويوصل اول حبل البيض باحدى ساقيهِ ويصير ينقلب على نفسهِ وحبل البيض يخرج منها الى ان يلتف الحبل كلهُ على ساقيهِ حتى اذا تمَّ لهُ ذلك غنَّى اغنية السرور بصوت اطرب من النقيق وسار في طلب رزقهِ الى ان تتمَّ مدة الحضانة

ويحين الوقت لخروج الدعاميص فيمضي بها الى الماء على ما تقدَّم

وفي جزيرة سيلان ضفدع من ضفادع الاشجار تضع بيضها في كيس وتحملهُ على بطنها كما ترى في الشكل الثالث وتحضنهُ الى ان تخرج الدعاميص منهُ

وفي جزائر سشل ضفدع يحمل دعاميصهُ على ظهرهِ كما ترى في الشكل الرابع والذي يحملها الذكر لا الانثى وفي هذه الدعاميص مادة غروية تلصق بها بظهر ابيها وتبقى لاصقة بهِ الى ان يتم نموها وتظهر قوائمها وهو يحملها صابرًا كما حملهُ ابوهُ من قبلهِ

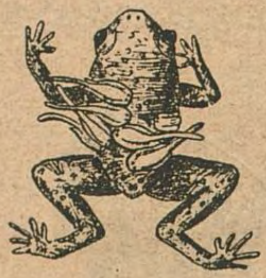

الشكل الرابع

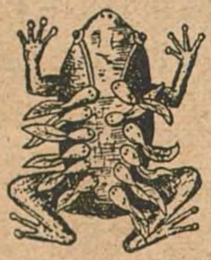

الشكل الخامس

وفي ڤنزويلا وترندال ضفدع اذا جفت البرك اسرعت دعاميصها الى ظهر ابيها او الى ظهر علجوم آخر سواءٌ كان ابيها او لم يكن ولصقت بهِ فيحملها ويسير بها الى بركة

وفي بلاد غينيا الهولندية ضفدع توجد ودعاميصها لاصقة بظهرها كما ترى في الشكل الخامس وهي الانثى لا الذكر كأَن حمل الصغار يختلف باختلاف البلدان فيكون في بعضها قسمة الانثى وفي بعضها قسمة الذكر

والضفادع المتقدم ذكرها تحمل صغارها من غير ان يكون في بدنها جهاز خاص معدٌّ لحملها بهِ ولكن في بلاد برازيل ضفدع من ضفادع الاشجار على ظهرها حفرة كبيرة كأَنها حظيرة يحيط بها سور فتضع بيضها فيها كما ترى في الشكل السادس على الصفحة التالية وتحملهُ الى ان تخرج الدعاميص منهُ . وهناك ضفدع اخرى فيها ما هو اغرب من ذلك فان في ظهرها حفرًا صغيرة والظاهر ان الذكر يستلقي البيض من انثاهُ ويفرقهُ في هذه الحفر فيغرق فيها ويبقى هناك الى ان تخرج الضفادع الصغيرة منهُ كما ترى في الشكل السابع ويمضي عليها ثلاثة اشهر من حين يوضع البيض في الحفر الى ان تخرج الصغار منهُ وتسعى في طلب رزقها

ولا تنتهي غرائب الضفادع هنا بل بقي منها ما هو اغرب من ذلك كثيرًا في الضفدع التي اكتشفها الشهير دارون في بلاد شيلي فان علجومها (وهو ذكر الضفدع) يبتلع البيض حالما تبيضهُ انثاهُ لا لكي يأْكلهُ ويغتذي بهِ كما تفعل حيوانات كثيرة تأْكل اولادها بل

لكي يحضنهُ في بطنهِ ويقيهُ شر الاعداء ويمهد لهُ سبيلاً للنمو آمنًا . وهو لا يبتلعهُ الى معدتهِ بل الى كيس كبير في بطنهِ لا باب لهُ الاَّ من فيهِ . وفراغ هذا الكيس ممتد تحت بطن العلجوم وحول حقويهِ حتى يكاد يصل الى سلسلة ظهرهِ . والبيوض كبيرة وعددها قليل من خمس الى خمس عشرة بيضة فتخرج الدعاميص منها تسرح وتمرح في جوف ابيها الى ان يتكامل نموها وهو صابر صبر الكرام وتضطر احشاؤُهُ ان تضيف من اجل ذلك وان يقلل طعامهُ كثيرًا لكنهُ لا يشكو ضيمًا بل يصبر على بلواهُ الى ان تكبر صغارهُ وتصير قادرة على السعي والدفاع عن نفسها فتخرج من فيهِ الواحدة بعد الاخرى ولا تدري ان بنات خالتها الضفادع المائية العادية يذهب اكثرها فريسة لوالديها

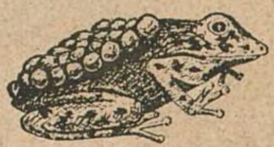

الشكل السادس

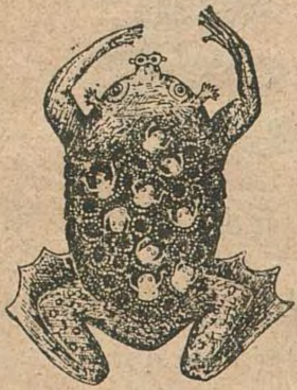

الشكل السابع

وفي فنزويلا ضفدع أُخرى ابت ان تكون اقل ايثارًا على نفسها من هذا العلجوم فان في ظهرها ثقبًا كبيرًا يوصل الى باطنها يتفرَّع منهُ دهليزان طويلان يمتدان حول حقويها حتى يكادا يحيطان بها . ولا يعلم كيف يتكون هذا الفراغ بين جلد الضفدع واحشائها ولا هل هو فيها دائمًا او يتكوَّن في فصل التوليد فقط . ولا اتصال بينهُ وبين المبيض فلا بدَّ من ان يخرج البيض من المبيض اولاً ثم يوضع في الثقب الذي على ظهر الضفدع ولعلَّ الذكر يفعل ذلك اي انهُ يستلقي البيوض ويضعها في الثقب المشار اليهِ. والبيوض كبيرة قطر البيضة منها سنتمتر وعددها قليل وجد منها اربع في الغرفة الوسطى واحدى عشرة في الدهليزين اللذين على جانبيها وتمتاز دعاميصهُ بكبر خياشيمها التي تتنفس بها فانها تبرز منها وتتشعب حتى تغطي بدنها والمظنون ان الدعاميص تتنفس بهذه الخياشيم وتغتذي بها ايضًا كانها المشيمة التي يلتفُّ بها جنين الانسان . ومتى بلغت الدعاميص اشدها مضت بها امها الى الماء والقتها فيهِ حاسبة انها صارت اهلاً للنضال في معترك الحياة. وهذا قليل من غرائب الحيوان

احوال السودان

من فيكونت كرومر الى مركيز لنسدون

مولاي . جاءَني تقرير مسهب مفيد جدًّا من السر رجينلد ونجت عن ادارة السودان في السنة الماضية ولي الشرف ان ارسل الآن نسخة منهُ اختصرت من غير ان حذف شيءٍ مما فائدتهُ عامَّة

لا شبهة في انهُ تمَّ كثير من النجاح في السودان بعد استرجاعهِ و يظهر من مراجعة تقرير السر رجنيلد ونجت ان في كل جهة تقريبًا مجالاً واسعًا للاصلاح

والامران اللذان تمسُّ الحاجة اليهما اكثر مما تمسُّ الى غيرهما هما في ما اظن زيادة الموظفين الانكليز ورأس المال للانفاق على سكك الحديد والري

اما الامر الاول فيمكن اتمامهُ بغير صعوبة كبيرة . فقد عين بعض من الشبان الملكيين المنتقين وسيكونون مبدأ حكومة السودان الملكية والمرجح ان ينضم اليهم غيرهم مع الزمان. ولما زرت السودان حديثًا عجبت من همة الضباط الذين انيطت بهم الخدمة الملكية ومن كفاءتهم وهم في حالة السودان الحاضرة خيرُ من تناط بهم الادارة هناك وان بدا منهم شيءٌ من الخطإ لقلة خبرتهم في الامور الادارية فقليل من النصح والارشاد يصلح هذا الخطأَ لاسيما وانهُ غير مقصود

وقد ذكر السر رجينلد ونجت ما يُعترَض بهِ على حصر الخدمة الملكية بالضباط العسكريين وهو ان الضباط معرَّضون دائمًا لان يُطلبوا الى مكان آخر فيختل نظام الادارة التي كانوا فيها . وزد على ذلك ان الضباط الذين يأتون ليقوموا مقامهم يمضي عليهم زمن قبلما يعرفون من لغة البلاد واطوار اهلها ما يلزم للقيام بما يجب عليهم ولذلك تدعو الضرورة الى انشاء ادارة ملكية في السودان . واكرر القول بانهُ يجب ان تبذل العناية التامَّة في انتقاء الموظفين لهذه الادارة

اما الامر الثاني الذي اشرت اليهِ آنفًا فليس من غرضي ان اسهب فيهِ الآن ولكني اقول ان نجاح السودان يبقى قليلاً ما لم تنفق فيهِ الاموال . ثم اني ارى الامل قليلاً ان ينفق احد الآن مالاً طائلاً في تلك البلاد ما لم يرَ لهُ معينًا (من الحكومة) واني الخ

(الامضا) كرومر

تقرير السردار والحاكم العام عن احوال السودان المالية والادارية سنة ١٩٠٠

ان الحالة التي وُصفت في التقرير السنوي عن سنة ١٨٩٩ لم تتغيَّر تغيرًا جوهريًّا

فقد استمرَّت المخابرات بين السودان والمستعمرة الايطالية من جهة تحديد التخوم ولكن لم تُعين هذه التخوم حتى الآن والمرجح انهُ يشرع في ذلك قريبًا

واستخدم الكولونل تلبوت مدير المساحة في مسح البلاد التي هناك ولا بدَّ من ان نتائج عمله تسهل التحديد الاخير ويرجى ان العلاقات الحسنة جدًّا بين الحكومة البريطانية وحكومة بلاد الحبش تدعو الى اتفاق قريب تام بين السودان والحبشة على الحدود الفاصلة بينهما . وتمهيدًا لذلك مسحت البلاد التالية

اولاً من فمكا على البحر الازرق الى محطة حكومة السودان في الناصر على نهر السبَت بادارة الماجور جوين . وقد رسم هو ورجالهُ كل الاراضي التي مروا بها رسوماً مدققة ووصفوا كل الطرق التي ساروا فيها . وسار الماجور جوين الآن الى عاصمة بلاد الحبش لاستطراد اعمال المساحة حين اتمام المخابرات على التخوم بين الكولونل هارنجتون نائب الحكومة البريطانية في بلاط الحبشة وبين جلالة الامبراطور منلك

ثانياً من فشودا في نهر السُبَت ونهر بارو الى غورى ومن ثمَّ الى جلو جنوباً ثم الى الناصر بطريق نهر بيبور وذلك بادارة الماجور اوستن . ولم يستطع ان يبلغ بحيرة رودلف كما قصد لان رجال الحبشة الذين على الحدود لم يفهموا مرادهُ ففسروهُ على غير ما اراد ولكنهُ قام ثانيةً قاصدًا البحيرة والمنتظر انهُ لا يلقى المانع الذي لقيهُ اولاً

وازيل السد او النبات الطافي الذي كان يسدُّ البحر الابيض وفتح الطريق في النيل الى النقط الشمالية من اوغندا ومحطة ولاية الكنغو الحرة في الرجاف

اما حصر النيل جنوبي متصل السبت في مجرًى واحد ليزيد مقدار الماء الوارد منهُ فمسألة لم تحَلَّ حتى الآن . ولكن قد فُتح طريق الملاحة وهذه اول خطوة لاتمام هذه الامنية لكن اتمامها يقتضي سنين كثيرة هذا اذا كان سهلاً

وفتح الطريق في اعالي النيل وَصَلَ بين شمالي اوغندا والخرطوم والقاهرة ولم يُقتصر على ذلك بل شرع رجال الحكومة في ولاية الكونغو الحرَّة يجلبون حاجياتهم بطريق النيل بدلاً من ورودها بطريق غربي افريقية والكونغو

وان قلة البواخر في النيل الآن تمنع اتساع التجارة ولكن يرجى انهُ حينما يأتي الفيضان التالي يؤتى ببواخر اخرى من جهات اصوان وحلفا فيسهل علينا ان نقوم بما تستدعيهِ احوال البلدان الجنوبية فتتصل العلاقات معها اتصالاً تجاريًّا يكون منهُ نفع متبادل

وقد أُقيمت نقطة للحكومة قرب كرو على ٥٥ ميلاً شمالي محطة الكونغو الحرة في الرجاف وهي ابعد نقطة الآن جنوباً للحامية السودانية

والبحث جارٍ في مسألة نقل المؤن والمهمات والبريد الى نقط اوغندا بسكة الحديد بين

حلفا والخرطوم وببواخر حكومة السودان وبديهي انهُ يقتصد كثير في الزمن باستخدام هذا الطريق الى ان تتم سكة اوغندا

اما من حيث المديريات غربي البحر الابيض فقد أُرسلت حملة بقيادة الكولونل سباركس الى بحر الغزال لكي تستكشف وتحتل المديريات الواقعة بين النهر والارض التي يصبُّ ماؤُها في نيل الكونغو وهي داخلة في حدود السودان على ما هي محدَّدة في المعاهدة بين انكلترا وفرنسا في ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ . ويرجى انهُ ينتج من هذه الحملة فتح بلدان بقيت زمانًا طويلاً مقفلةً عن منافع العمران والتجارة

وابعد المديريات الغربية التي تحكمها حكومة السودان الآن مباشرة: مديرية كردفان التي احتُلَّت عاصمتها القديمة الابيض في ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٩

ومديرية دارفور يحكمها الشيخ علي دينار حفيد السلطان حسين ولا تزال علاقاتهُ مع حكومة السودان ودية وقد سار السر رودلف سلاتين باشا الى الحدود لترتيب بعض الامور المتعلقة بادارة المديرية وموقعها بالنسبة الى السلطة المركزية في الخرطوم

وقد بقيت بقية من الدراويش الذين تقهقروا الى القرب من بوهر برئاسة رجل اسمهُ عرابي دفع الله في داركارا الى الجنوب الغربي من دارفور . وهي تغزو القبائل المستوطنة هناك على ما يبلغنا وهذا غاية ما وصلت اليهِ من العبث بالامن ولا يحتمل ان هذه الشرذمة الصغيرة الباقية من جيوش الدراويش الكبيرة يستفحل امرها فتقوض اركان السلم في مديرية دارفور او ما يجاورها

ويظهر من الالتفات الى بلاد السودان بنوع عام ان الراحة كانت مستتبة في العام الماضي في كل المديريات التي تديرها حكومة السودان وهذه الراحة لازمة جدًّا للبلاد والعباد لاسترجاع القوة التي ضاعت مدة سني الاضطراب والحروب المستمرَّة . وقد نتجت منها فوائد جمَّة وكان ماء الري وافيًا والمطر غزيرًا فجادت الغلال وكثرت الحبوب وهبطت اسعارها الى حدٍّ لم تبلغهُ منذ سنوات كثيرة . وهذه الامور مضافةً الى ما يشعر بهِ كل احد من استتباب الامن آلت الى ما يُرَى من رضى السكان عن حالتهم الحاضرة ولذلك سار الاصلاح العام سيرًا اقل بطئًا مما كان ينتظر وان لم يكن سريعًا في هذه الاحوال . ولا ينكر ان الارتقاء لا يزال في بداءتهِ ولكن الادلة متوفرة على ان البلاد ستستفيد من الوسائل التي عُمِل بها لتجديدها وبث مبادىء الحكومة المنتظمة فيها التي تقيها من مساوىء الماضي وتمهّد لها مستقبلاً تجد فيهِ الراحة والفلاح

المالية

يمكن الاعتماد على الارقام التالية المبنية على حساب السنة الماضية الى آخر نوفمبر الماضي وعلى ما يقدَّر لشهر دسمبر ومنها تعلم نتيجة السنة الماضية ماليًّا

الايراد	
المديريات	٩٥ ٠٠٠
البوسطة	٠٥ ٠٠٠
التلغراف	٠٤ ٠٠٠
سكك الحديد	٣٦ ٠٠٠
	١٤٠ ٠٠٠
المدفوع من الحكومة المصرية	٤١٧ ١٧٩
	٥٥٧ ١٧٩

المصروفات	
المديريات	٨٣ ٠٠٠
الادارة المركزية	٣٨ ٠٠٠
البوسطة	٠٩ ٠٠٠
التلغراف	١٦ ٠٠٠
سكك الحديد	١٣٢ ٠٠٠
الاشغال العمومية	٣٨ ٠٠٠
	٣١٦ ٠٠٠
النفقات الحربية	٢٨٢ ٨٦٢
	٥٩٨ ٨٦٢

فالعجز ٤١ ٦٨٣ ج . م او نحو ٤٠٠٠٠ ج . م . والسبب الاكبر لهذا العجز ان المصروفات قُدّرت باقل مما بلغت والايرادات قدّرت باكثر مما بلغت . ثم اتضح في آخر السنة انهُ لا بدَّ من الغاء بعض الضرائب وتقليل البعض الآخر او تأجيل ربطهِ لانهُ لم يحن وقتهُ فاذا ربط الآن كان ربطهُ عبئًا ثقيلاً على الاهالي واضرَّ بنجاح البلاد واداءتها . واتت امور اخرى مانعةً من تحقيق ما انتظرناهُ فاذكر بعضها على سبيل التمثيل ليظهر حرج الموقف الذي نحن فيهِ وانهُ لم يكن في الامكان الوقوف عند حدود الميزانية . ففي اول الامر وجدنا انفسنا مضطرين الى وفاء خمسة وعشرين الف جنيه أُنفقت في العام السابق فوق المال المعطى لتمديد سكة الحديد الى الخرطوم

وجاء طاعون المواشي ضربةً على اصحابها وعلى دخل الحكومة وتهدَّد مصر كما تهدَّد السودان ودعا الى نفقات غير منظورة نحو ستة آلاف جنيه لمقاومتهِ ووقاية القطرين منهُ

ثم ان احتلال الخرطوم دعا الى اقامة ادارة ملكية في تلك المديرية ابتدأت بداءة بسيطة جدًّا وتقدَّمت في غضون السنة فاقتضى ذلك انفاق ٣٥٠٠ ج . م رغمًا عن الاقتصاد الكثير وهذا لم يقدَّر لمَّا وُضعت الميزانية . وقد جُعلت النفقات لهذه المديرية في ميزانية هذه السنة ٨٤٣٧ ج . م لانها تقدَّمت فصار لا بدَّ من زيادة النفقات لاداءتها

وينتظر ان تزيد نفقات الاشغال العمومية ١٣٠٠٠ ج . م بسبب الزيادة اللازمة لبناء الدواوين والمنازل والمستشفيات وغيرها من المباني العمومية

وقد كانت سكة الحديد والاشغال العمومية عبئًا ثقيلاً على البلاد في العام الماضي وستبقى كذلك مدةً طويلة ايضاً . واضطررنا الى نفقات اخرى لم يُعَدَّ لها مالٌ في الميزانية من

ذلك تعيين لجان الاراضي والمهندسيين لهندسة المدن وتعيين مفتش عام ومفتشين آخرين من الانكليز للجهات البعيدة تأميناً لاهاليها الذين استأمنوا الى الحكومة ولاظهار قيمة الاصلاح في الجهات التي لا يزال اهاليها مرتابين في مقاصد الحكومة وحيث يخشى من نهوضهم عليها اذا لم يكونوا تحت سلطتها مباشرةً . وجرى بالايرادات مثل ذلك فالغيت عوائد القطعان وتسجيل البضائع في حلفا وعوائد القبانة في المديريات وكان المبلغ المقدَّر لها في الايرادات ٨٠٠٠ ج.م وأُنقصت رسوم حوالات البوسطة ورسوم الحوالات على الخزينة من واحد في المئة الى نصف في المئة . وأُعفيت اراضٍ كثيرة في مديرية بربر من الاموال فنقص ايراد تلك المديرية وصار ٦٥٠٠ ج.م بعد ان قدّر ١٤٠٠٠ ج.م ورفع جانب من عوائد النخيل في دنقلة . ورُفعت اموال اخرى من هذا القبيل جرياً على مقتضى الحال

ورغماً عن ذلك كلهِ ظهر في الايرادات كلها بنوع عام ميلٌ الى الزيادة والاتساع وينتظر ان تبلغ الايرادات كلها ١٤٠٠٠٠ ج . م وكانت في العام الذي قبلهُ ١٢٦٥٩٦ ج . م فجملة الايرادات تنقص ١٨٥٠٠ عما قُدّر لها ولكن اذا استثنينا العجز من ايرادات مديرية بربر وايرادات البوسطة وبلغ ١٣٥٠٠ ج . م والعجز من الغاء عوائد القطعان وتسجيل البضائع وهو ٨٠٠٠ ج . م فبقية الايرادات تكون قد بلغت ما قُدّر لها وزادت عليهِ نحو ٣٠٠٠ ج . م . وكذلك المصروفات اذا قوبلت بما قُدّر لها . ولا يمكن اتمام هذه المقابلة حتى الآن بالتفصيل ولكن اذا اغضينا عن ميزانية سكة الحديد التي اضيفت الى مصروفاتها مبالغ باقية عليها من حساب العام السابق وعن ميزانية الاشغال العمومية والتلغراف فليس في المصروفات الاخرى كلها عدا مصروفات سواكن ما يسرُّ كثيراً او يسيء كثيراً

اما مصروفات سواكن فقُدّرت ٢٦٢٠٠ ج . م ولكنها أُنقصت من وجوه مختلفة في غضون السنة ولذلك لا ينتظر انها تزيد على ١٦٠٠٠ ج.م . وزادت مصروفات التلغراف نحو ٦٥٠٠ ج.م لانهُ لما وضعت الميزانية لم ينظر فيها الى النفقات اللازمة لتمديد خطوط التلغراف وقد أُنفق الاعتماد الاضافي وهو ١٥٠٠٠ ج . م على انشاء البرابخ والكباري جنوبي الاتبرة ولا يزال الفرق عظيماً بين المصروفات والايرادات ولكن جانباً كبيراً من المصروفات صُرف على انشاء مبانٍ وعلى اعداد المعدات اللازمة ابتداءً في الادارات المختلفة مما لا يحسَب عادة بين المصروفات العادية بل يعيَّن لهُ مال خاص من موارد أُخرى غير موارد الايرادات الى ان تكثر ايرادات البلاد وتصير كافية للانفاق على ما يُعدُّ رأس مال للمستقبل

وميزانية سنة ١٩٠١ على ما يأتي بالجنيهات المصرية

الايرادات

	١٩٠٠٠	الخرطوم
	١٠٠٠٠	بربر
	٢٨٠٠٠	دنقلة
	٠٤٠٠٠	سنار
	٠٣٥٠٠	كسلا
	١٠٠٠٠	سواكن
	٠٤٥٠٠	حلفا
	٠١٠٠	فشودا
٧٩٥٠٠	٠٠٤٠٠	كردفان
	٢٦٠٠٠	من مبيع ذرة رسوم جليلة صنفاً
	٠٨٠٠٠	جزية القبائل
٣٦٠٠٠	٠٢٠٠٠	ايرادات عمومية
	٥٠٠٠	البوسطة
	٤٠٠٠	التلغراف
٧٢٠٠٠	٦٣٠٠٠	سكة الحديد
٤١٧١٧٩		ما تدفعهُ الحكومة المصرية لسد العجز في ايرادات السودان
٦٠٤٦٧٩		الجملة

المصروفات

	٢١٣٧٤	الخرطوم
	١١٧٤٧	بربر
	١٣٥٠٠	دنقلة
	١٤٣٩١	سنار
	٠٨٨٣٨	كسلا
	١٥١٢٨	سواكن
	٠٢١٥٤	حلفا
	٠٣٧٠٠	فشودا
٩٩٢٦٩	٠٨٤٣٧	كردفان
	٢٣٩٠٨	الادارة المركزية
	٠٥٠٢٢	السكرتير القضائي والمحاكم
	١٣٦٥٢	ادارة المخازن
	٠١٠٧٥	المعارف
	٠١٢٠٠	مدير الغابات
	١٠٠٠٠	السجون
	٠١٢٠٠	ادارة الحيوانات البرية
	٠٦٢٥٠	طاعون مواشي مطبعة مساحة
	٥٤٠٩	المستشفيات
٩٤٩٩٥	٢٧٢٧٩	المصروفات العمومية
	٢٠٠٠٠	الاشغال العمومية
	٠٨٧٨١	البوسطة
	١٦٠٠٠	التلغراف
١٨٧٧٨١	١٤٣٠٠٠	سكة الحديد
٢٢٢٦٣٤		ما يدفع الحربية عن جيش السودان
٦٠٤٦٧٩		الجملة

ويرجى ان تكون النتيجة موافقة لهذا التقدير ولا تنقص الايرادات عن المصروفات نقصاً عظيماً ولكن لا بدَّ من القول ان التقديرات المتقدمة قُدِّرت بغاية الاقتصاد والتقتير واعتمادنا في الايرادات الآن على اموال الاطيان . فيبذل المديرون اقصى جهدهم في كل المديريات ليرغبوا الاهالي في زرع ارضهم ويسهلوا لهم كل السبل لاقتناء المواشي ونتيجة ذلك مفيدة جدًّا من غير ريب وكل الدلائل تدل على ان الايرادات من هذا الباب ستزيد زيادةً مستمرَّةً

وقد بذل الماجور برنارد اقصى جهدهِ في وضع اساس ثابت لمراقبة الحسابات ومراجعتها ونشرت تعليمات كثيرة مع ميزانية هذه السنة اساساً لهذه المراقبة . ويرجى ان هذه التعليمات تكون مرشداً لزيادة الدقة والانتظام

ومما يحسن ذكرهُ ان كل حسابات حكومة السودان في كل فرع من فروعها صارت الآن تحت مراقبة مصلحة السودان المالية فحسابات التلغراف والبوسطة نقلت من الحربية الى المالية سنة ١٨٩٩ وحسابات سكة الحديد سنة ١٩٠٠

وتقدمت مصلحة البوسطة في السودان في العام الماضي تقدُّماً يذكر ليشكر ولكنها لا تزال مفتقرة الى شيء كثير ليزيد نفعها . وقد جرى العمل فيها على اصول صحيحة وبلغت المكاتب التي فتحت لقبول التحاويل المالية ١٣ مكتباً وزاد التدقيق والانتظام في ارسال المكاتيب والطرود وتسليمها وقلَّت الشكاوى كثيراً من فقد المكاتيب واضاعة الطرود . ويقال بنوع عام ان الاصلاح واضح في كل فرع من فروع هذه المصلحة . ولا تزال ايراداتها دون نفقاتها لانهُ ينفق كثير على استئجار الجمال لنقل البوسطة الى الاماكن البعيدة عن النهر وعن سكة الحديد. وقد فتحت بعض المكاتب لاجل مخابرات الضباط والجنود ولا ريع لما كان كذلك

وختاماً لما ابديتهُ عن الحالة المالية اتجاسر بان اشير الى النجاح البين الظاهر من كل وجه وفي كل فروع الادارة

فقد بُنيت الحسابات العمومية على اسس وطيدة ونُقل مكتب المالية الاجرائي الى الخرطوم ونظم فرع مراجعة الحسابات تنظيماً تامًّا وتُرِك في القاهرة لان ذلك مما ظهرت الحاجة اليهِ منذ زمن طويل واشار بهِ الكولونل ستورت في تقريرهِ المفيد عن السودان سنة ١٨٨٣ حاسباً اياهُ من جملة الاصلاحات الادارية

ومسحت الارض بقصد ربط الضرائب عليها . والعمل جارٍ في حفر الترع للري في بعض المديريات وينظر في حفر ترع اخرى في مديريات اخرى . وشجع الناس على اخذ الرخص

لوضع الآلات الرافعة . ولدينا مشروع لتقديم المواشي الى بعض المديريات مساعدةً للاهالي على ادارة سواقيهم وزرع اكثر ما يمكن زرعهُ من اطيانهم . ولم يُضَنّ عليهم بمساعدة من حيث تقديم التقاوي لهم قرضاً لكي يسهل عليهم الزرع ولا يلجأُوا الى المرابين . ويرجى ان تظهر نتائج ذلك سريعاً بزيادة الحاصلات والايرادات . ورغماً عن هذا النجاح البيّن لا تزال البلاد كلها تطلب زيادة من المال ومن المواشي اللازمة للري ومن الموظفين الكبار ومن المراقبة الشديدة تسهيلاً لادارتها ونزعاً لكل ما يعود بالناس الى المساوىء القديمة مثل الرشوة والتزلف اللذين يميل اليهما بعض المستخدمين الوطنيين اشد الميل وينغمسون فيهما ما لم يروا انفسهم تحت اشد المراقبة. وطلب هذه الاموال سواءٌ كان لترقية البلاد او لسد حاجة الاهالي الذين انهكتهم سنو الحروب والمظالم لا يجاب الأ بما قالهُ اللورد كرومر لما رأى الحاجة الحقيقية وخاطب علماء السودان ووجوههُ وشيوخهُ المجتمعين في الخرطوم قائلاً

" لا يبرحْ من الاذهان انهُ مهما كانت الرغبة شديدة في كل اصلاح لذاتهِ لا بدَّ من ان يراعي في اتمامهِ شرطان الاول ان لايزاد المال الذي يدفعهُ المصريون لاجل السودانيين والثاني ان يبقى المال الذي يدفعهُ السودانيون قليلاً على قدر الامكان "

هذه خلاصة الاحوال . ومع اعترافي بفضل الحكومة المصرية بما تكرَّمت بهِ لادارة السودان اراني مقصراً في ما يجب عليَّ كنائب في تلك البلاد عن جلالة الملك وسمو الخديوي اذا لم اشر الى ان تنظيم الادارة في السودان تنظيماً تاماً يقتضي زيادة في المال

الاستعمار

أُريد في اوائل السنة ارسال جانب من الحامية الكبيرة التي كانت مجتمعة في ام درمان وتفريقها في المديريات المختلفة . ثم لما عمت الطمأنينة البلاد كلها تيسر تقليل الجيش المصري كثيراً . فالغيت اورطتان من الاورط المصرية وقلت قوة الاورط السودانية والمصرية معاً وانقص عدد الفرسان وغيرهم وبذلك كثر الاقتصاد

وسُمح لكثيرين من الجنود السودانيين ان يتركوا الخدمة وكانوا قد وُعدوا بان يسمح لهم بذلك حينما تفتح السودان . واختار كثيرون منهم العود الى اوطانهم ولكن رضي ثمانمئة منهم ان ينشئوا مستعمرات في جهات مختلفة من السودان يسكنونها هم ونساؤُهم واولادهم فانشئت لهم القرى على البحر الازرق والابيض وفي مركز كسلا . ويظهر مما يُرى حتى الآن ان هذه المستعمرات ستنجح ويكون منها نفع للمديريات التي انشئت فيها . وقد منح كل مستعمر فدانين الى ثلاثة من الارض الجيدة التي يسقيها المطر (العذي) او ارض المراعي وفداناً من

الارض التي يرويها النيل عدا التقاوي التي يعطاها مجاناً . واعطي كل رجل وامرأة وولد ما يكفي من الذرة لطعامهم الى ان يحصدوا ما يكفيهم . وتُنظَّم هذه المستعمرات على نظام عسكري فيختار لكل مستعمرة واحد من صف الضباط رئيساً او شيخاً عليها . وقد صار في بعض هذه القرى اسواق دورية ويرجى ان تنشأ فيها المساجد والمدارس بعد حين . ولا بدَّ من ان تختار مواقع المستعمرات في الاماكن التي يكثر فيها وقوع المطر لان الاراضي التي لا تروى الا بالسواقي او بالشواديف لا تصلح لمثل هؤلاء المستعمرين على ما يظهر لانهم لا يتحملون الاعمال الشاقة ولذلك لم تفلح المستعمرات التي انشئت في بربر ودنقلة فهاجر اهاليها منها الى جهات اخرى . وكل المستعمرات تحت مراقبة مراقبين من الانكليز وقد تفاءلوا كلهم بنجاحها

سكة الحديد

وصلت سكة الحديد الممدودة من حلفا الى الحلفاية على البحر الازرق قبالة الخرطوم في ٣٠ دسمبر سنة ١٨٩٩

ولا تخلو الاحصاءات التالية من الفائدة ولكن لابدَّ قبل النظر فيها من اعتبار هذه الامور وهي

(١) ان هذه السكة مُدَّت لاجل الجيش وقت الحرب فاختير طريقها ونوعها وموادها حتى تفي بهذا الغرض

(٢) ان نصف السكة في قفر قاحل ولا يحتمل ان يكون منهُ اقل دخل ولا بدَّ من النفقات لحفظهِ مثل باقي السكة

(٣) كل قطار يقوم من حلفا قاصداً الخرطوم لابدَّ من ان يحمل معهُ ٩٥٠٠ جالون من الماء لآلتهِ البخارية وهذه خسارة كبيرة في ما يستطيع حملهُ

(٤) كل الجنود وموظفي الحكومة وكل لوازم الحكومة ومهماتها تنقل على هذا الخط مجاناً. ولا بدَّ ايضاً من ان تعطى بعض تذاكر السفر مجاناً لغير رجال الحكومة

(٥) ان نقل البضائع من الجنوب الى الشمال قليل جدًّا الآن الاَّ في بعض شهور السنة ولكنهُ آخذٌ في الازدياد على نسبة تقدم التجارة في البلاد . ويكثر نقل التمر على خط الكرمة في اواخر السنة . ويُقدَّر انهُ يصدر من السودان في العام المقبل مقدار كبير من الصمغ العربي من كردفان وغيرها ويحتمل ان يصدر منهُ مقدار كبير من الذرة ولكن الذرة السودان ليست رائجة في مصر . وينقل جانب من الحنطة من دنقلة الى الخرطوم مؤُونة للجيش

(٦) والهمَّة مبذولة للاعتماد على ما في بلاد السودان من المواد لكي يقل ما ينقل اليها

الآن من مواد البناء والمهمات اللازمة لاقامة المباني واطعام الجيش حتى تتفرَّغ سكة الحديد لنقل بضائع التجّار . وقد أُوصي على مركبات جديدة لنقل البضائع فيتسع المجال لنقل بضائع التجار

وطول سكة الحديد في السودان الآن ٧٧٩ ميلاً

وبلغ الدخل من نقل الركاب	٦ ٧٠٣	ج ٠ م
وقيمة نقل الضباط والجنود وعيالهم مجانًا	٤٨ ٧٨٨	" "
" " غيرهم من الملكيين "	٠٦ ٠٩٣	" "
اجرة نقل البضائع والمواشي "	٢٧ ٥٥٥	" "
قيمة نقل مهمات سكة الحديد "	١٦ ٩٤٤	" "
قيمة نقل المهمات لمباني الحكومة ونحوها على فرض اجرة نقل القنطار ١٠ غروش	٤٠٦٤٦٨	
وجملة الايرادات	١٤٦ ٥٥١	
يطرح من ذلك ما لم تؤْخذ اجرتهُ من الركاب والبضائع	١١٢ ٢٩٣	
فالربح الصافي	٣٤ ٢٥٨.	
نفقات التشغيل (ما عدا نفقات الانشاء)	١١٣ ٣٥٠	

ولذلك فنفقات التشغيل تساوي ٧٧ في المئة من جملة الايرادات. فهي كثيرة ولكن لا يبرح من الاذهان ان البضائع التي تنقل الآن من الجنوب الى الشمال لم تزل قليلة جدًّا

وبلغ عدد القطرات التي سارت على هذا الخط ذهابًا وايابًا مدة السنة ٧٢٨ فكأَنها سارت ٤١٩٤٤٠ ميلاً . وعلى خط الكرمة ٣٤٨ قطارًا فكأَنها سارت ٧٠٥٦٠ ميلاً . ونفقات سير القطار ميلاً واحدًا هكذا

على خط الخرطوم نحو ٢٢ غرشًا . وعلى خط الكرمة نحو ٢٥ غرشًا

ويظهر مما تقدم انهُ لو دُفعت الاجور المعتدلة عن نقل كل الركاب والبضائع التي تنقل الآن مجانًا لاجل الحكومة لبقي من الايراد ربح معتدل . ولكن يقال من جهة اخرى ان اكثر الموظفين والعمال على هذا الخط من رجال الحربية ولذلك فرواتبهم اقل كثيرًا مما لو كانوا ملكيين

وكان في النية وضع مركبات النوم هذا الشتاء على هذا الخط ولكن شركة مركبات النوم لم تستطع تقديم المركبات اللازمة في الوقت فأُهمل ذلك هذه السنة . ويُنتظر ان تُعدَّ المعدات اللازمة لتسهيل سفر السياح في الشتاء المقبل

وقد انشئ هذان الخطان اصلاً في زمن الحملة وكان لا بدَّ من الاسراع في انشائهما ولذلك لم يكن العمل على ما يرام من حيث المتانة

فلما هطلت الامطار الغزيرة في السودان حديثاً قطعت في الخطين ٢٨٩ قطعاً وكان السفر عليهما يتوقف احياناً اسابيع متوالية فيختل نظام الاتصال ولولا التحوّط لذلك لخيف من نتائجهِ في السودان فوق توقيف اعمال البناء في الخرطوم

وبناء على ذلك وعلى ان العسر المالي يقتضي تقليل النفقات الى الغاية القصوى دعت الضرورة الى طلب اعتماد خصوصي لترميم ما لا بدَّ من ترميمهِ على ما في تقرير الماجور مكولي (مدير سكك الحديد) الذي لهُ فضل كبير على ادارة سكة السودان في احوال كثيرة المصاعب

القضاء

أُشير في التقرير السنوي الماضي الى بعض الاوامر التي نشرت تمهيداً لمجموع القوانين المدنية التي قُررت حينئذٍ او اريد تقريرها للعمل بها في بلاد السودان لكي يكون في البلاد نظام بسيط للقضاء يسهل الجري عليهِ . وقد مرَّت سنة الآن فيمكن النظر في صلاحية هذه الشرائع ووصف الاوامر الجديدة التي يدعو اليها ما علم بالاختبار من احوال السكان

فقد ثبت ان قانون العقوبات وافٍ بالغرض (الا في ما ندر) لكل الجرائم التي ارتُكبت في العام الماضي وقد اعترف السكان غالباً بعدل الجزاء المرتب على الجناية

اما قانون تحقيق الجنايات فوُجد انهُ يستحيل العمل بهِ من حيث القبض على المتهم وتحقيق التهمة ولذلك استُعملت اساليب اخرى ابسط من اساليبهِ وهي مما يدركهُ اهالي السودان بسهولة ولو كان ينقصهُ بعض ما يقي البريء مما هو موجود في القانون . ولم يُغض الطرف عن ان صغار الموظفين لا يحسنون التصرُّف اذا لم يكونوا مقيدين بقوانين مدققة في تحقيق الجنايات . والعمل جارٍ في اعداد السجلات وستكون مرشداً مفيداً وتجعل مراقبة ضباط البوليس وصغار القضاة افعل مما كانت حتى الآن

قال المستر بُنهام كارتر السكرتير القضائي في تقريرهِ ما يأتي

”راجعت في غضون السنة تحقيقات كل مجالس المديريات وغيرها من المجالس ويمكنني ان اقول ان اجراء العدالة بلغ درجة عليا في الامور الجوهرية . ويؤتى بالمتهمين لاجل التحقيق باقل ما يمكن من التأخر نظراً لصعوبة المواصلات . ويجري التحقيق بالعدل حسبما ينتظر من نظام المحاكم وعلى اسلوب ينظر فيهِ الى مدلول القانون والى الصبر والتأني للحصول على ادلة لم تكن منتظرة“ والعقوبات خفيفة في الغالب وقدنفذ الحكم بالاعدام في اربعة اشخاص . وفي طاقة المحاكم

ان تحكم على القتلة بالسجن بدل الاعدام . واطول مدة السجن لاي عقوبة كانت حسب هذا القانون اقصر مما هي حسب الشريعة الانكليزية . وقد كان ميل القضاة من الضباط الى الرأفة بالمجرمين

وحوكم ثلاثة من الاوربيين مدة السنة وحُكم عليهم بالحبس مددًا قصيرة لكن لما رأينا الحبوس لا تصلح لاقامتهم فيها أُطلق سبيلهم على شرط ان يبرحوا السودان حالاً . وقبض على اوربي آخر مجرم وأُتي بهِ الى الحدود وسُلم الى رجال قنصلهِ

وقد ساعد المستر برنيات من قلم قضايا الحكومة المصرية المستر بنهام كارتر في جمع اوامر قانون مدني نُشرت في ابريل الماضي . وهذه الاوامر على نسق قانون المرافعات الهندي المستعمل في بيشوانالند وبرما التابعتين لبريطانيا . ويفرض ذلك القانون وجود اربعة محاكم مختلفة الاولى القومسيون القضائي وهذا المنصب يشغلهُ الآن السكرتير القضائي والثلاثة الباقية مجالس القضاة من الدرجة الاولى والثانية والثالثة فالتي من الدرجة الاولى تحكم في كل القضايا من غير قيد من حيث قيمة القضية والتي من الدرجة الثانية تحكم في القضايا التي لا تزيد قيمة ما يطلب في الواحدة منها على ٢٠٠ جنيه والتي من الدرجة الثالثة تحكم في القضايا التي لا تزيد قيمة ما يطلب في الواحدة منها على ٢٥٠ غرشاً

وتستأنف احكام المحاكم التي من الدرجة الاولى والثانية الى المدير وتستأنف احكام المدير الى القومسيون القضائي

وكانت المصاعب كثيرة حتى الآن في العمل باوامر القانون المدني لكن ابتدأ العمل بها في ام درمان ابتداء حسناً فسمعت مئة قضية وقضيتان وسمع في غيرها عشرون قضية فقط عدا قضايا العقار التي يفصل فيها قومسيون مخصوص معين لذلك

ولا بدَّ من وضع قانون للربا ولكن وضع هذا القانون يقتضي بحثاً مدققاً . فقد رفعت دعوى الى المستر بنهام كارتر حُسب فيها الربا ١٥ في المئة شهريًا بالنسبة الى رأس المال وكان سند الدين يغيَّر شهريًا وتحسب لهُ فائدة مركبة. والدائن من مستخدمي الحكومة وكان مشدّدًا الطلب على المديون طالبًا ايفاء الدين. فكان الحكم ان يُجعل الربا عشرين في المئة فقط سنويًا وجرى مثل ذلك في قضايا اخرى من هذا القبيل

ومفاد القواعد التي في اوامر القانون المدني ان المسائل المتعلقة بالارث والهبة والزيجة والعلاقات العائلية والوقف تُفصل بموجب الشريعة المحمدية اذا كان الخصوم من المسلمين وان كانوا من غير المسلمين فبموجب ما هم خاضعون لهُ من الشرائع والاحكام وان لم يكن لهم شرع فالمجلس يحكم بينهم حسب شرعة العدل والانصاف والذمة . ويرى السكرتير القضائي ان وضع

قانون عام على مبدإِ القانون المدني لا يصح الاَّ بعد ان ينصب قضاة قانونيون

وقد ابتدأَ التقاضي بالحقوق المدنية ابتداء حسناً ولكن يستحيل على غير القضاة الذين تخرَّجوا في علم القانون ان يحكم بموجب القانون المدني . وفي النية تعيين قاضٍ مدني لمديرية الخرطوم في غضون هذه السنة ثمَّ متى تيسَّر المال يعين غيرهُ في جهات اخرى من البلاد

وقد انشئت المحاكم الشرعية في اكثر المدن الكبيرة في السودان . وهي ليست على ما يرام ولم يقبل بالراتب الذي تدفعهُ حكومة السودان الاَّ قاضٍ او قاضيان من الذين مارسوا القضاء الشرعي سواء كانوا مصريين او سودانيين . والذين لهم شيء من الالمام باصول الشريعة الاسلامية يجهلون غالباً كيفية العمل بها وتطبيقها فلا يستوفي العدل حقهُ

ولا استطيع ان اختم هذا الفصل عن نجاح الاصلاح القضائي في السودان ما لم اعرب عن شكري الخالص للمستر بنهام كارتر على الخدم الجليلة التي خدم بها هذا الفرع من فروع الحكومة بهمة لا تعرف الملل وعلى النجاح الذي نجحهُ في تنظيم التقاضي في السودان

امتياز المعادن

ان الامر الذي صدر سنة ١٩٠٠ من حيث الترخيص بالبحث عن المعادن ابقى للحاكم العام وضع الشروط التي تعطى الرخص بموجبها لكنهُ وَضع بعض الحدود العمومية التي لا بدَّ من العمل بها في كل الرخص التي لا يذكر فيها اتفاق صريح على شروط تخالفها . ثم اثبت الاختبار ان الشروط المتضمنة في الامر المشار اليهِ لا توافق الباحثين عن المعادن نظراً لصعوبة المواصلات وجهل البلاد حيث ينتظر وجود المعادن . ولذلك اهملت هذه الشروط من الرخص التي مُنحت وتم الاتفاق على شروط اخرى وهذه الشروط تختلف تفصيلاً باختلاف الرخص ولكنها تتفق كلها جوهريًّا

وجرت المذاكرة لاعطاء امتيازات ببعض المعادن في غضون السنة وتمَّ الاتفاق في بعضها ولكن لا ينتظر ان يتَّسع نطاق البحث عن المعادن الاَّ بعد ان يتم تخطيط التخوم بين السودان وبلاد الحبش ويفتح جنوبي كردفان

وقد ارسلت شركة البحث في السودان المصري بعثةً في اوائل العام الماضي بادارة السر رودلف سلاتين (ولم يكن قد دخل في خدمة حكومة السودان حينئذٍ) الى البلاد التي جنوبي الابيّض . واشتغل فريق من الباحثين عن المعادن في ارض مُنحت لهم في جوار سواكن واخذ فريق آخر يشتغل قرب حلفا . وتمَّ الاتفاق على البحث عن معادن البلاد التي بين البحر الابيض والازرق شمالي نهر طمات

حفظ حيوانات الصيد

ان الامر الذي نُشر في شهر فبراير الماضي سنة ١٩٠٠ ذكر مفاده في تقرير السنة الماضية وفيهِ ان الصيادين الاجانب لا يباح لهم الصيد الأ برخصة يأخذونها . وهناك رخصتان الواحدة ثمنها ٢٥ جنيهاً واسمها رخصة ا ويباح لحاملها ان يصطاد كل ما يصاد من الحيوانات ما عدا قليلاً من الحيوانات التي مُنع صيدها منعاً مطلقاً. والثانية ثمنها ٥ جنيهات واسمها رخصة ب ويمنع صاحبها من صيد بعض الحيوانات النادرة

وقسمت الحيوانات والطيور الى اربعة صفوف . وقد اشار المديرون في تقاريرهم التي وصلت في غضون السنة عن الحيوانات التي تصاد الى انهُ يحسن ان تقسم تقسيماً يختلف باختلاف البلدان ولذلك صدر اعلان في غزطة السودان الصادرة في شهر يناير سنة ١٩٠١ عدد ١٩ تقسم بلاد السودان بحسبهِ الى اربعة اقسام

و يطلَب من كل من بيدهِ رخصة ا ان يدفع رسماً عن كل حيوان يصيدهُ مما هو معدود في الصف الثاني واذا صاد انثى فالرسم اكثر ولا يجوز صيد الانثى من الصف الثاني مطلقاً اذا عرف الصائد انها انثى واذا صاد فيلاً وجب عليهِ ان يدفع ايضاً الرسم المقرر على عاجهِ

وفي الامر الصادر سنة ١٩٠٠ لحفظ الحيوانات يطلب من الاهالي ايضاً ان يأخذوا الرخص ولكن ذلك لا يصدق الأ على الاماكن التي نشر فيها عنهُ اعلان من الحاكم العام . ومأمور الرخص يضع شروطها . وجرى العمل بهذا الامر في كسلا ومنحت الرخص لشيخين او ثلاثة من شيوخ القبائل ليصيدوا عدداً محدوداً من الحيوانات الكبيرة . ولا يدفعون شيئاً عن هذه الرخص ولكن يُطلب منهم ان يخبروا المدير اذا اصطادوا فيلاً او زرافة او جاموساً بريًّا او غير ذلك من الحيوانات المخصوصة ويدفعوا عن كل حيوان رسماً يختلف من جنيه الى ثمانية لان هذه الحيوانات مطلوبة رواميزها في كسلا فلا يصعب على الاهالي دفعُ هذا الرسم

وقد صدر من البلاد كثير من رواميز الحيوانات البرية في السنة الماضية . والتجارة جارية في جلود الحيوانات وما يحفظ منها تذكاراً

ويُخشى انهُ اذا لم يكن على هذه التجارة شيءٌ من المراقبة آلت الى استئصال الحيوانات النادرة . ولذلك وُضع اصدار الحيوانات البرية والطيور البرية تحت مراقبة الحكومة في الامر الصادر سنة ١٩٠١ لحفظ الحيوانات البرية . والبند الثاني منهُ يمنع تصدير الحيوانات البرية والطيور البرية وجلودها وريشها وقرونها في حالتها الطبيعية ما عدا انياب الافيال وقرون

وحيد القرن وريش النعام ما لم تأذن الحكومة بذلك وهذا المنع لا يعمُّ الحيوانات والطيور التي تصاد بالرخصة

وفي طاقة الحاكم العام ان يسمح بتصدير الحيوانات والطيور التي لا يخشى انقراضها وان يضع عليها رسمًا

ودُبرت التدابير لانشاء مصلحة مخصوصة في الحكومة تحت نظر الكبتن فلور مدير حديقة الحيوانات في الجيزة لترى في المسائل المتعلقة بحيوانات السودان وطيورهِ البرية

وتعطي هذه المصلحة الرخص لتصدير الرواميز الحية برسم يعين بعدُ وتقدّم الرواميز الحية لحدائق الحيوانات والمعارض ونحوها

التعليم

تولى المستر بنهام كارتر النظر في امر التعليم الابتدائي الذي ابتدأ بادارتهِ فوق مهامهِ القضائية . فنتجت منهُ نتائج تشهد له' بالهمة وحسن النظر في العواقب وذلك قبل وصول المستر جمسن كري مدير المعارف في السودان وناظر مدرسة غوردون

ووصل المستر كري في نوفمبر الماضي ومن حين وصولهِ وهو موجه كل التفاتهِ الى هذا الموضوع الهام جدًّا وقد وضع عنهُ تقريرًا مفيدًا اعرب فيهِ عمَّا يظنهُ افضل اسلوب يتَّبع في السودان لنشر المعارف وقد اقتبست منهُ ما يأتي

" لا بدَّ من ان يكون التقرير الاول عن احوال المعارف في السودان من نوع الانباء بالمستقبل لا الإخبار بالماضي اي يكون فيهِ ذكر ما يتوقع حصوله' لا وصف ما حصل . ولعلَّ اقرب ما يمكن ذكره' وصف حاجة البلاد الحاضرة الى التعليم وما جرى حتى الآن لسد هذه الحاجة . ولا داعي للبحث عن معايش السكان عمومًا الأ من حيث ما يشتركون فيهِ وهو الفقر المدقع . والبلاد كالعباد فانها تعتمد على ما تمنحها اياه' مصر من الاموال وفيها كل الادواء المزمنة المترتبة على قلة المال فتضطر ان تسير سيرًا بطيئًا وتجتنب كل ما يدعو الى النفقات على ادارة التعليم وكل ما لا تفتقر اليهِ افتقارًا شديدًا وتزيد هذه الامور وضوحًا يومًا فيومًا "

وامسُّ ما تحتاج اليهِ البلاد الآن

اولاً تعليم الصنائع لفرقة من الوطنيين

ثانيًا نشر شيءٍ من التعليم بين الاهالي كافٍ لجعلهم يفهمون اغراض الحكومة

ثالثًا تدريب بعض الوطنيين على الاعمال التي تؤهلهم لاخذ الوظائف الصغيرة في الحكومة

اما من حيث الامر الاول فليس في السودان الآن احد من الصناع لا نجارين ولا بنائين ولا حدادين ولاخياطين ولا نسَّاجين . ولابدَّ من المجيء بهؤلاء الصنَّاع من اوربا او من مصر واجورهم حينئذٍ كبيرة تثقل على عاتق اهالي السودان . وفي النية انشاء مدرسة صناعية كبيرة في الخرطوم سدًّا لهذه الحاجة تكون متصلة بعنابر الحكومة وترسانتها . ويمكن ان يكون لها فرع في حلفا متصل بعنابر سكة الحديد هناك . وقد اهتم مديرا دنقلة وبربر بذلك من الآن . ولكن لا بدَّ من ان يمضي زمن قبل الشروع في هذا المشروع في الخرطوم لان الولد لا يستطيع ان يمارس مبادئ الصناعة قبلما يصير عمرهُ ١١ سنة او ١٢ سنة . وليس في المدرسة الآن عدد كبير من الاولاد الذين في هذا السن

والتعليم واجب دينًا عند المسلمين ولذلك تجد الكتاتيب منتشرة في بلاد السودان بالمئات وقد وصفها اللورد كرومر في تقريرهِ عن العام الماضي وصفًا يغني عن زيادة التفصيل. وكان في النية مساعدة هذه الكتاتيب بالمال ثم اتضح انهُ لم يحن الوقت لذلك . وأُشير بانشاء بعض الكتاتيب المتقنة التي تجعل مثالاً لما يجب ان يكون عليهِ الكتَّاب ويُوتى اليها بالمعلمين من مصر وقد انشئ بعضها في الخرطوم وام درمان وبربر ودنقلة وود مدني وحلفا وسواكن ويراد انشاء غيرها ايضًا وتعلم فيها فروض الديانة والقراءة والكتابة والحساب وقد بُذلت الهمة لاصلاح كتاتيب الجنود

اما إعداد اهالي السودان لوظائف الحكومة فاحسن سبيل لهُ في رأيي انشاء مدرستين او ثلاث من المدارس الابتدائية مثل المدارس التي انشئت في وادي حلفا وسواكن منذ اكثر من عشر سنوات

والحكومة في اشد الحاجة الآن الى شبان سودانيين متعلمين للجيش ولفروع الخدمة الملكية وسكك الحديد والتلغراف وزد على ذلك ان الموظفين المصريين والضباط الذين في حكومة السودان يودون ان تكون المدارس التي يعلمون فيها ابناءهم قريبة منهم . فانشئت مدرسة للتعليم الابتدائي في ام درمان منذ شهر اكتوبر الماضي وقد كثر عدد تلامذتها كثيرًا حتى زادوا مرتين على ما تسع وهي الآن مزدحمة بهم . يحضرها يوميًا مئة وعشرون تلميذًا والتعليم فيها مثل التعليم في المدارس المصرية الابتدائية او ابسط قليلاً ليوافق حالة السودان . ونسبة التلامذة المولودين في السودان الى التلامذة المصريين نسبة ١١ الى ٢ وكثير من التلامذة من ابناء امراء الدراويش السابقين او مشايخ القبائل

ويظهر ان الاهالي يقدرون اهتمام الحكومة بتعليم ابنائهم قدرهُ ويعلمون ان لا غرض لها

في التعرُّض لدينهم . وكل المعلمين حتى الآن من المسلمين

لكن وجود المعلمين ليس بالامر السهل وحتى الآن أُخذوا من نظارة المعارف المصرية . والصعوبة شديد في وجود المعلمين الاكفاء الذين يرتضون بالانتقال الى السودان ولكن لا ارى سبيلاً آخر من الآن الى عدة سنوات . ويحتمل ان تنشأ مدرسة لتعليم المعلمين ولكن ذلك يستدعي ان يكون في السودان التعليم الثانوي (العالي) وهو مما لا سبيل اليهِ الآن فلا بدَّ من تركهِ الى المستقبل

وتقدَّم البناء في مدرسة غوردون في غضون السنة الماضية وقد دعت الحال الى تحوير الرسم الاصلي اذ ظهر ان نفقات العمل بهِ تزيد عمَّا قدِّر لها . فلما كنت في لندن في الصيف الماضي عرضت على اللجنة المعينة للنظر على المال المجموع لهذه المدرسة ما حسبتهُ لازماً من التحوير فاستصوبتهُ وينتظر ان تتم المدرسة في مدة سنة بحيث تمكن الاقامة فيها ويكون التعليم قد تقدَّم هناك تقدماً يأذن بجعل العلوم فيها على نسق ما تكون في المدارس العالية . قال المستر كري في تقريرهِ عن هذا الموضوع

"ان نفع هذه المدرسة ضيق النطاق الآن طبعاً ولكنهُ سيتسع كثيراً كلما اثمرت الوسائل المتخذة لنشر التعليم الابتدائي في البلاد . ويمكن ان نجني منها فائدة الآن ولكن فوائدها لا تقدَّر بعد خمسين سنة . وما نراهُ من فخامة بنائها لا ينسينا ما هي المعارف عليهِ الآن من سوء الحال في تلك البلاد . واذا حاولنا استخدام هذه المدرسة قبل اوانها لا نكون قد قمنا بالواجب نحو الفكر الذي اخرجها من عالم التصوُّر الى عالم الحقيقة لا سيما وانها بنيت منظوراً فيها الى حاجة السودان الحاضرة وما يحتاج اليهِ السودان الجديد . ولو كانت دون ما هي عليهِ من فخامة البناء لما استحقت ان تكون نتيجة للفكر الذي تصوَّرها وللكرم الذي جعل هذا التصور مما يمكن العمل بهِ ولكن الثمار لا تجنى في سنين قليلة . مثال ذلك ان البناء معدٌّ ليكون فيهِ طعام التلامذة ونومهم ولكن الطعام والنوم ضربٌ من المحال الآن ولا بدَّ من الانتظار وعليهِ فلا بدَّ من ان تنتظر المدرسة كلها الى ان ينتقل الناس من ام درمان الى الخرطوم . والبناء نفسهُ لا يتم تماماً قبلما يتم هذا الانتقال

"ولكن الحكم بان النجاح لا يكون الاَّ تدريجاً لا يستلزم ان يترك هذا البناء من غير استعمال حينما يتم . فارتأي ان توضع المدرسة الصناعية في الغرف المعينة لها في الرسم وهو مكان مناسب لها لان ترسانة الحكومة امامهُ على الجانب الآخر من النهر ومدير الورش قريب منهُ وحينما ينتقل الناس الى الخرطوم تنتقل المدرسة الابتدائية اليهِ ايضاً . ومن غرضي ان اضع فيهِ ما يأتي

” — ا مكتبة عمومية للمراجعة في السودان
” — ب معرض صناعي زراعي ليساعد على ارتقاء البلاد التجاري
” — ج مرصد متيورولوجي ومرصد فلكي صغير
” — د معمل كيماوي“

ولا يقوم فرع من هذه الفروع وحدهُ من غير المدرسة مع ان كلاً منها لازم للسودان ومفيد لهُ جدًّا . ومتى ارتقت البلاد وزادت حاجاتها العلمية امكن نقل هذه الفروع الى مبانٍ خاصة بها

طاعون المواشي

لا داعي للاشارة هنا الى تاريخ هذا الوباء وتقدمهِ شمالاً في افريقية وحسبُنا القول انهُ عاث في بلاد الحبشة عدة سنوات وانتشر منها الى المستعمرة الايطالية واماكن مختلفة من السودان الشرقي . وظهر في ابي حراز على البحر الازرق في شهر فبراير سنة ١٩٠٠ تابعاً مجرى نهر دندر . واستئصلت شأفتهُ هناك ولم يُسمَع عن حادثة منهُ حتى شهر ابريل حين ظهر على البحر الابيض قرب كاوى وفي جزيرة ابا وبُذلت الهمة في منع انتشارهِ جنوبًا الى بلاد الدنكا فقطع النهر ولم يستأصل من الدويم وكاوى حتى شهر يوليو

وظهر على غير انتظار في شهر يونيو في كوكو التابعة لمركز الحلفاية على البحر الازرق ولكنهُ لم ينتشر لحسن الحظ مع انهُ عاد فظهر بعد بضعة اشهر في الجريف ووصل الى بوري وهي قرية مجاورة للخرطوم . واشد ما ظهر بهِ ظهورهُ الاخير قرب ام درمان

ونحن نستخدم الفرسان والبوليس لمنع انتقال المواشي وانتشار الوباء ولكن بلغني وانا اكتب هذه السطور انهُ ظهر في قرى عند شلال شبلوكة وفي داخلية البلاد الى الشرق والغرب من تلك الجهة

وقد بذلت مصلحة الطب البيطري بادارة النشيط الهمَّام الماجور غرفث كل الجهد لاستئصالهِ ولا تزال تبذل جهدها في ذلك

وبُني معمل لاستخراج المصل في الحلفاية وأُعدَّت المعدَّات اللازمة لجلب كل ما يلزم لهُ من الادوات سريعاً . واستخدم ثلاثة من الجراحين البيطريين الذين اختبروا طاعون المواشي ومعالجتهُ في جنوبي افريقية وغيرهِ وأُتي بالمصل المضاد لطاعون المواشي من جنوبي افريقية والقسطنطينية

و يظهر من ذلك انهُ بذلت كل واسطة لاستئصال هذا الداء . ولم يعين مال لمقاومتهِ في الميزانية ولكن لم يُضن بمال ولا بجهد في سبيل استئصالهِ ان امكن ومنعهِ من الامتداد شمالاً

وجاء الاستاذ كول من معمل كوخ في برلين الى الخرطوم مدة الصيف وكتب تقريراً وافياً عن تقدُّم الوباء وافعل الوسائط لمقاومتهِ

الرق والنخاسة

مسألة الرق مسألة عسير حلُّها في السودان كما في غيرهِ من البلدان الافريقية وقد اتخذت الوسائل المشدَّدة لمنع النخاسة قبل عصيان الدراويش . وبديهي ان النخاسة بلغت شأواً عظيماً في حكم الخليفة وان طرق منعها عادت فتسهلت باسترجاع السودان . وظهر نجاح هذه الطرق ظهوراً بيناً في العام الماضي . وكان الفرسان والهجانة وطوَّافة البوليس مهتمين كلهم في منعها . وخُطف كثيرون في بداءة السنة في ام درمان وسواكن . وجرى شيءٌ من المتاجرة بالرقيق بين سواكن وام درمان واماكن اخرى من السودان

وكثير من قبائل العرب النازلة حول سواكن ولا سيما قبيلة الرشايدة يغتنم الفرص ويهرّب الرقيق الى الشاطىء ويعبر بهِ البحر الاحمر باذوائهِ . وفي الصيف الماضي اقامت فرقة من مصلحة منع تجارة الرقيق في سواكن ومعها مفتش انكليزي فقبضت على بعض المتهمين بتهريب الرقيق واتت بهم الى المحاكمة وفي جملتهم شيخ الرشايدة وكان متهماً بابتياع الرقيق فحُكم عليهِ بالسجن سبع سنوات . ونتج عن ذلك ان هاجر كثيرون من هذه القبيلة الى المستعمرة الايطالية وانا اتخابر الآن مع سعادة حاكم المستعمرة للاتفاق على الاساليب التي تبطل هذه التجارة القبيحة

وقد نشر الكبتن مكمردو مدير مصلحة منع تجارة الرقيق في مصر رسالة على الرق في تلك الجهات . واثق انهُ لا يمضي وقت طويل حتى ينشأ فرع من مصلحتهِ في الخرطوم لكي ينتشر منها الخفراءُ في السودان يرقبون مع هجانة الحكومة المصرية السكك المختلفة التي تسير فيها قوافل تجار الرقيق

ووضعت فرقة من الهجانة في الشهور التسعة الماضية في ادارمة لكي تخفر البلاد حول الاتبرة وتزور آبار الصحراء وسيقوم مقامها فرقة من هجانة مصلحة الرقيق تشترك مع هجانة العرب التي جمعت من كسلا ومع فرقة سواكن فتتم المراقبة على طريق الاتبرة والطريق الذي بين كسلا وسواكن

وقد قرَّر الكولونل كولنصن مدير كسلا انهُ حكمَ على احد عشر نفساً بموجب قانون

العقوبات وعتق ٥٣ رقيقاً وان العرب الرحَّل لا يزالون يبيعون الرقيق و يشترونهُ بعضهم مع بعض ولكنهُ يرجو ان يمنع ذلك بعد حين . وكل العبيد الذين عتقوا كتبت اسماؤُهم وهم يعيشون الآن بين السودانيين

وحكم على ١٣ بالنخاسة في جهات سواكن وعتق الماجور غودن ٦٦ من الرقيق عدا ١٢٩ عتقتهم مصلحة الرقيق . وعندهُ انهُ لا يهرَّب كثير من الرقيق الآن من هناك ولم يمحَ اثر النخاسة ولكن عدد الارقاء الذين سير بهم من سواكن سنة ١٩٠٠ اقل مما كان في السنين السابقة

وقد فهم اهالي السودان الآن ان الرق ممنوع ولذلك ترك كثيرون من العبيد بيوت اسيادهم واتوا المدن الكبيرة حيث لا يجدون كفافهم دائماً فصار بعضهم لصوصاً وهم يكرهون العمل بعد تحريرهم مع ان البلاد في حاجة شديدة الى العمال . فليس من مصلحة السودان ان يترك العبيد اسيادهم فتبطل الاعمال ويختل نظام البيوت و يزداد عدد الكسالى . واعني بالعبيد هنا الرجال والنساء الذين يخدمون اسيادهم من غير اجرة يتقاضونها منهم ولاسيادهم السلطة عليهم . فاذا اراد اهالي السودان ان لا تتعرَّض الحكومة لهم وجب عليهم ان يعاملوا هؤُلاء الخدم بالحسنى والتؤَدة و يعرفوا انهم لم يبقوا عبيداً اي انهم ليسوا الآن ملكاً حلالاً لهم كما كانوا قبلاً . فان لم يعُلِ السيد خدامهُ ولم يعاملهم بالحسنى حق لهم ان يداعوهُ فيُحكَم عليهِ . ولا شبهة في ان كثيرين من الاسياد يعاملون عبيدهم احسن معاملة وقد يحسبونهم مثل اهل بيوتهم

التلغراف

مُدَّ في العام الماضي ٥٠٠ ميل من خطوط التلغراف ووصل بين الرصيرص وكركوج وبين ام درمان والدويم وبين الدويم والابيض وبين القضارف وود مدني وفتحت مكاتب التلغراف في الابيض والرصيرص وسنغا والجبلين (ثم أُقفل الاخير الآن)

و يراد مد خط هذه السنة من قوز ابي جمعه الى كاوى وجعل اسافل الاعمدة من الصلب (الفولاذ) من قوز ابي جمعه الى سنار ومنها الى الخرطوم بطريق ود مدني

والعمل جارٍ في مد الخط بين سواكن و بربر . وتبيَّن ان الارضة (النمل الابيض) تتلف اعمدة الخشب فدعت الحال ان منحت المالية المصرية ١٨٥٠٠ جنيه افرنجي لابتياع اعمدة من الحديد توضع في اسفل اعمدة الخشب . وابتيعت اسلاك مما يمدُّ في الماء لتمد بين الخرطوم وام درمان وبين الكرمة والحافر

عبرة وذكرى

فاجعة بيروت فجر يوم الخميس في ٣٠ مايو سنة ١٩٠١

صاحِ قِفْ بي فوق الحصى والجنادلْ   وقفةَ الآسفِ الشجيِّ الثاكلْ
هيِّ واستنطِقِ الطولَ وسائلْ   يا ترُى أين أَهلُ هذه المنازلْ
لا ديارًا أَرى ولا دُيورًا   كلها اصبحت هبـًا منثورا
يا لها نكبةً تدقُّ الصخورا   بل تردُّ الحديدَ كالماء سائلْ
رُزْءُ فجر الخميس بيروتَ ذكَّرْ   بمصابِ سهامها قبل فطَّرْ
في كلا الحادثين اهوَلُ منظر   لاح للعين عند ما انقضَّ ماثلْ
غير ان الاخير عنديَ اعظمْ   وَهوَ عند الجميع ايضًا مسلَّمْ
بين هذا وذاك فرقٌ ومَن لم   يقتنع بالمقُول دعهُ يقابِلْ
خَطْبُ يوم الخميس آلمُ خطبِ   هولهُ عمَّ مُدْمِيًا كلَّ قلبِ
وببيروت حاق شرقًا بغربِ   وجنوبًا اصابها وهو شاملْ
ذلك الفجرُ لم يكُنْ قطُّ فجرا   فهْوَ باسم الظلام اولى وأَحرى
وجههُ كان باسرًا مكفهرًّا   من حُلى النور جيدهُ كان عاطلْ
غَشِيَ الغمُّ كلَّ وجهِ السماءِ   هكذا كان من مسا الاربعاءِ
اذ تبدَّى فيهِ لعينِ الرائي   بدرهُ عادمَ الضيا متضائلْ
وكأَني بهِ اتاهُ نذيرُ   بمُصابٍ تشيب منهُ الشعورُ
واعتراهُ خوفٌ شديدٌ كبيرُ   فدجا وهو طالعٌ غيرُ آفلْ
أَنصف الليلُ والعيون تملَّتْ   سُهدَها وعُرى الافاقة حلَّتْ
وجميع الجسوم للدأْب ملَّتْ   وغدا كلها الى النوم مائلْ
هكذا نام اهل هذي البيوتِ   مثل باقي السكان في بيروتِ
بسكونٍ وراحةٍ وسكوتِ   رقدوا والسلام للكل شاملْ
ليس فيهم مَنْ ظنَّ أَنَّ كراهُ   ذلك الليل ينتهي برَداهُ
علَّلَ النفسَ بالصباح يراهُ   مستنيرًا الى النهار الكاملْ

هوذا الآن آخر الليل . إسمَعْ   كيف ناقوسُ ساعة البرج يقرَعْ
كُفَّ قرعًا بين اثنتين وأَربَعْ   فثلاثًا اذًا يكون الحاصلْ

أُنظر البدرَ مالَ نحو الغيابِ   وهوَ قد ماط عنهُ سجفَ السحابَ
فتبدَّى لنا بمجلى اكتئابِ   أَصفرَ الوجه شاحبَ اللون حائلْ

رامَ إرسالَ نورهِ ليصافحْ   أَهلَ ذاك الحمى صفاحَ البارحْ
فسرى منهُ نحوَهم وهو فاتحْ   في حماهم باب الهلاك العاجلْ

ونسيمُ الصبا يهبُّ بَليلاَ   قارصًا للخدود شيئًا قليلاَ
وهوَ قد كان قاصدًا تقبيلاً   فانثنى عنهُ خائبًا غيرَ قابلْ

حالت الامَّهاتُ دون مناهُ   وحجبنَ الاولاد عن مسراهُ
خفنَ أَن تُدميَ الخدود يداهُ   فجعلنَ الدثار اعظمَ حائلْ

أصغِ تسمعْ صوتًا دوى مثل رعدِ   بغتة قاصفًا ! اذًا صوتُ هدِّ!
وبهِ الجوُّ بات يدوي ويصدي   ولقد أرجف الثرى كالزَّلازلْ

وعلى إثرهِ عويلٌ عالِ   ونداءُ استغاثةٍ متوالِ
وصراخٌ كلُّ المسامعِ مالِ   واختلاط وحاوحٍ وولاولْ

كان هذا الصراخ بضعَ ثوانِ   وانقضى صوتهُ من الآذانِ
وأُلو الصوتِ مثل هذي المباني   أُودعوا جعبةَ الزوال الزائلْ

هُدِمَتْ تلكمُ المنازل هدما   وغدَت عينهـا على الفور رسما
وأَوى اهلها المساكين ردما   فوقهم جرَّ للفناء ذلاذلْ

صاحِيَ انظرْ في الشرق شمس الخميسِ   أَقبلت تنجلي انجلاءَ العروسِ
بضياها طابت جميع النفوسِ   راتعاتٍ من رغدِها في خمائلْ

كلُّ فردٍ من اهل دار الصفاء   قرَّ عينًا من الضحى بضياء
نال منها حرارةً مع نماء   وانتعاشًا لهُ المسرَّةَ كافلْ

ما عداكم يا أَهل هذي القبورِ   قد خبطتم في ظلمة الديجورِ
ليس فيكم مَن فاز منها بنورِ   مثلما كان عند ما نامَ آملْ

انَّ شمسَ الخميسِ لمَّا تبدَّت   شاركت في الاسى عليكم وحدَّت
وسحابًا كالبدر ايضًا تردَّت   وعليكم بكاؤها متواصل

عمَّ صوت النعيِّ كلَّ الاهالي   فتجارى سوادهم في الحالِ
واتى حضرة الرشيد الوالي   مع فريقٍ من رهطهِ والقناصل

وقفوا كلّهم على الانقاضِ   بصدورٍ ملأى دواعي انقباضِ
ونفوسٍ تشعُّ نارَ امتعاضِ   وقلوبٍ فراغها الغمُّ شاغِل

لم يغظهم يا صاحِ أنَّ القصورا   اصبحت صفصفًا وباتت بورا
بل لأنَّ القصُورَ صارت قبورا   وبأشلاء ساكنيها اواهِل

وابتدا الحفر عاجلاً بالفؤوسِ   عن خبايا النفوسِ لا عن "فلوس"
جثثًا أُخرِجَت كما من رُموس   فوقها الموت شاربٌ وهو آكل

ويح قلبي على نفوسٍ بريَّهْ   ودماءٍ بالحقِّ كانت زكيَّهْ
ضحيت فوق مذبح الاشعبيَّهْ   وبها شحُّ غيرها كان ناكِل

أخرجوها من جوف تلك الجلامدْ   مشهدًا للتمثيل شرَّ المشاهدْ
هذهِ أرجل وتلك سواعد   بينها القطع فاصل غير واصل

ذاك قطعٌ بهِ وذلك ثرمٌ   وبهذا جدعٌ وفي ذاك صلمٌ
ما عليها من السلامة رسمٌ   بل عليها التشويهُ ساطٍ وصائلْ

يا ضحايا التقتير هل من يجودُ   منكمُ بالسؤال عما اريدُ
اعلموني فانني مستفيدُ   عن امورٍ لها انا الآن جاهلْ

ايُّ رعبٍ ترى يكون اعتراكم   اذ عليكم للردم بات تراكمْ
وانحجبتم عنَّا فما إن تراكم   غيرُ عينٍ برأيها الكل داخِل

أَخبرونا بما تراءى لديكمْ   حين هُدَّت تلك القصور عليكم
والمنايا في الحال خفَّت اليكم   واستعدَّت لقنصكم بالحبائل

ما فعلتُنَّ ايها الامهاتُ   بالصغار الذين معكُنَّ باتوا
ها همُ الآن مثلكنَّ رفاتُ   ليس فيهم على الحياة دلائل

كَم ملاكٍ بادٍ بصورة طفلِ   فوَّق الموت نحوهُ ايَّ نبلِ
مات لكن قتلاً ! نعم شرّ قتلِ   سامح الله من لهم كان قاتِل
كم فتى بالحياة علل نفسهُ   فأوى وهوَ ناعمُ البال رمسهُ
ما أراهُ الخميس يا قومُ شمسهُ   بل عليهِ بنورها كان باخِل
كَم فتاةٍ باهي الجمال اليها   كان يعزَى والحسنُ وقفاً عليها
صوَّحت زعزع الردى وجنتيها   فغدا ورد خدّها الغصن ذابل
كان ما املّت سحابة صيفِ   أقشعت وانقضت سريعاً كطيفِ
وفرَاها مُصابها فَرْيَ سيفِ   ارهفت حدَّهُ اكفُّ الصياقل
يا حمام الحمى ابكي معنا وردّدْ   ندب أهل الحمى وما شئت عددْ
نُحْ ورجّعْ واسجعْ وبالهدْر اسعدْ   قلبَ باكٍ على الكآبة عاملْ
وابكِ من اهلهِ على غرباء   امهات بنين مع آباء
ما لهم في بيروت من انسباء   ولهذا الباكون كانوا قلائلْ
وارثٍ امًّا لما قضت ولداها   قَضيَا مع ذي الام لم يتركاها
طوَّقتها ايديهما ويداهـا   بهما حفتا محفًّا كاملْ
يا نفوساً بها المقدَّر أردَى   وهي تُزْبي على الثلاثين عدًّا
وبأمن سارت الى حيث تهدى   راحةً لا يشوبها من قلاقلْ
عبرة خَطبكِ الملمُّ وذِكرى   لنفوسٍ بحالها اللهُ ادرَى
لنفوسٍ سكرى وما هيَ سكرى   بل عليها الغُرُورُ مُرْخٍ سدائل
فليكن ذا المُصابُ خيرَ خطيبِ   منذرٍ بانقضاضِ شُهبِ الخطوبِ
واللبيبُ اللبيبُ كلُّ منيبِ   مُرْعَوٍ تائبٍ رضى اللهِ نائلْ
فلنبادر اليهِ في الحال نلقى   منهُ عوناً طبقَ المرام ورفقا
ذاك خيرٌ لنا جميعاً وأبقى   فهنيئاً لمن الى الله راحل
واذا انهدَّ بيتنا الارضيُّ   فلنا في السماء بيتٌ بهيُّ
غير مصنوعٍ من يدٍ ابديُّ   ذاك اسنى البيوت أسمى المنازل

اسعد داغر

الاسلام في الصين

الاسلام قديم الهجرة في بلاد الصين يذكر الصينيون ان اول ظهوره بين ظهرانيهم كان لعهد السلطان (تايتسونغ) وذلك في القرن السابع للمسيح وان اول داخل من المسلمين الى تلك الديار رجل من عَصَبَة النبي يقال لهُ ابن حمزة جلا الى الصين بثلاثة آلاف مهاجر ونزلوا في (سنغان فو) وانهُ جاء على اثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر واقاموا بجهات يونان. ويذكر مؤرخو الصين انهُ في نواحي سنة ٧٥٨ اقبل على بحر الصين متلصصة من العرب يأخذون كل سفينة غصباً فعاثوا في تلك البحار وجاسوا خلال الديار واكتسحوا ضواحي كنتون واحتووا على ما في الاهراء السلطانية التي هناك . وهذه تباشير دخول العرب لتلك البلاد بحسب ما ورد في تواريخ الصين

ولم اجد الى الآن في الكتب التي طالعتها من كتب العرب اثرًا لقصة ابن حمزة هذا ولا ما يوافقها وانما روى المسعودي في تاريخهِ قصة تحكيها من بعض الوجوه نأثرها بالاختصار وهي ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود خرج الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة وذوي الاحوال الحسنة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعتهُ همتهُ الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذٍ بمدينة حمدان وهي من كبار مدنهم فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انهُ من اهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزالهِ في بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليهِ . وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمرهُ بالبحث عنهُ ومسألة التجار وعمّا يدعيهِ من قرابة نبيّ العرب صلى الله عليهِ وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبهِ فاذن لهُ في الوصول اليهِ ووصلهُ بمال واسع واعادهُ الى العراق

ويظهر من كتب العرب ان اول صقع عرفوهُ من بلاد الصين هو كاشغر وذلك منذ سنة ست وتسعين للهجرة اذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهليّ في خلافة الوليد بن عبد الملك الامويّ. قال ابن الاثير الجزريّ في تاريخهِ انهُ سار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع من يرجع الاَّ بجواز منهُ ومضى الى فرغانة وارسل الى شِعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهي ادنى مدائن الصين فغنم وسبى واوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليهِ ملك الصين ان ابعث اليَّ رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم

فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال والسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم اذا دخلتم عليهِ فاعلموهُ اني قد حلفت اني لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبي خراجهم . فساروا وعليهم هبيرة فقال لهم ملك الصين قولوا لصاحبكم ينصرف فاني قد عرفت قلة اصحابهِ والاَّ بعثت اليكم من يهلككم . قالوا كيف يكون قليل الاصحاب مَن اول خيلهِ في بلادك وآخرها في منابت الزيتون واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالاً اذا حضرت فاكرمها القتل لسنا نكرههُ ولا نخافهُ . وقد حلف ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية . فقال فانَّا نخرجهُ من يمينهِ ونبعث تراب ارضنا فيطأهُ ونبعث اليهِ بعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليهِ بجزية يرضاها. ثم اجازهم وبعث بما ذكر الى قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب . فقال سواد ابن عبد الملك السلولي

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم   للصين ان سلكوا طريق المنهجِ
كسروا الجفون على القذى خوف الردى   حاشى الكريم هبيرة بن مشمرج
ادّى رسالتك التي استدعيتهُ   فاتاك من حنث اليمين بمخرج

ووصل الخبر الى قتيبة في هذه الغزاة بموت الوليد ثم قُتل قتيبة في السنة نفسها ولا يبعد انهُ لو بقي حيًّا لاستأنف الكرة على الصين لما هو معهود من بعد همتهِ في الجهاد . ولا شك ان الاسلام كان قد دخل في البلاد منذ ذلك الوقت وكثرت اتباعهُ وما زالوا على نموّ وازدياد يُلحَظ ذلك من تضاعيف الحوادث المذكورة في تواريخ العرب فقد ذكر ابن الاثير انهُ في سنة اربع وستين ومائتين ظهر ببلاد الصين انسان لا يُعرَف جمع غمارًا من العامة واهل الشرّ وقصد بهم مدينة خانقو وحصرها . قال وهي حصينة ولها نهر عظيم وبها عالم كثير من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من اهل الصين . هذا في القرن الثالث للهجرة واما بعد ذلك فترى الاخبار عن مسلمي الصين كثيرة . نقل الامام احمد القلقشنديّ المتوفى سنة ٨٢١ عن الشريف حسن بن الجلال السمرقنديّ وكان من السفار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقهُ وجاس خلالهُ انهُ قال ان من عجائب ما رأى في مملكة القان (اي الخان) انهُ مع كفرهِ في رعاياهُ من المسلمين امم كثيرة وهم عندهُ مكرمون محترمون ومتى قتل احد الكفار مسلمًا قُتل القاتل الكافر واهل بيتهِ ونهبت اموالهم وان قتل مسلم كافرًا لا يُقتل بهِ بل يُطلَب بديتهِ ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيرهِ

ولم يدخل الاسلام بيت الملك في تلك البلاد الاَّ ما كان ببلاد المغول في ذرية جنكيز

خان وفي كاشغر . قال ابن خلدون في الجزء الخامس من تاريخهِ عند ذكر الترك انهُ كانت لهم دولة ببلاد تركستان وكاشغر وان ملوكهم اسلموا بعد صدر من الملة على بلادهم وملكهم وكان بينهم وبين بني سامان القائمين فيما وراء النهر بدولة بني العباس حرب وسلم

قال يحيي بن احمد بن علي النسابي كاتب جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولتهِ ان مملكة الصين منقسمة من قديم الزمان على تسعة اجزاءٍ كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى كل جزءٍ منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نائبًا عن الخان الاعظم وكان جنكيز احد الخانات المذكورين فتغلَّب عليهم جميعًا وصار الملك الاعظم . وفي كتاب ابن فضل الله محكيًا عن الصاحب علاء الدين عطاء ان دينهُ ودين قومهِ كان المجوسية حتى ملكوا الارض واستفحلت دولتهم بالعراق والشمال وما وراء الهند فاسلم من ملوكهم من هداهُ الله للاسلام

وذكر ابن خلدون في الكلام على ملوك بني جغطاي بتركستان وكاشغر وما وراء النهر انهم كانوا اولاً كلهم على دين المجوسية يعضُّون عليها بالنواجذ فلما صار الملك الى (ترماشين) منهم اسلم سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجاهد واكرم التجار المترددين

وذكر الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخهِ في خبر الملوك بني دمرش خان وهو من اولاد جنكيز خان انهُ لما مات دوشي خان ولي مكانهُ ابنهُ ناظو خان ثم مات وولي بعدهُ طرطو خان ثم مات فولي بعدهُ ابن اخيهِ واسمهُ بركة فاسلم على بد شمس الدين الباخوري" وكان مقيمًا ببخاري كتب اليهِ يدعوهُ الى الاسلام فاسلم وان بركة هذا اعمل الرحلة الى لقاء شمس الدين فلم يأذن لهُ في الدخول حتى تطارح عليهِ اصحابهُ وسهلوا الاذن لبركة فدخل وجدد اسلامهُ وعاهد الشيخ على اظهار الاسلام وان يحمل عليهِ سائر قومهِ فحملهم واتخذ المساجد والمدارس في بلاده وقرَّب العلماء والفقهاء . ثم ذكر المؤرخون اسلام ازبك بن طغرلجاي من سلالتهم واسلام تكدار بن هولاكو وخربندا بن ارغو ثم احمد بن هولاكو . وفي مختصر الدول لابي الفرج الملطي" صورة كتاب كتبهُ الى سلطان مصر في ذلك الوقت جاء فيهِ " بقوة الله باقبال قاان فرمان احمد اما بعد فان الله تعالى بسابق عنايتهِ وبنور هدايتهِ قد كان ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيتهِ والاعتراف بوحدانيتهِ والشهادة لمحمد عليهِ افضل الصلاة والسلام بصدق نبوتهِ (الى ان يقول) وانفذنا اقضى القضاة قطب الدين والاتابك بهاء الدين وهما من ثقات هذه الدولة القاهرة ليعرفاهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما ينطوي عليهِ لعموم المسلمين جميل سنتنا وبينًا لهم انا من الله على بصيرة وان الاسلام يجبُّ ما قبلهُ الخ "

وقال القلقشنديّ في " صبح الاعشى " ان اول من اسلم من ملوك هذه المملكة ترماشيرين

فاسلم واحسن اسلامهُ واخلص وايد الاسلام وقام بهِ حق القيام وامر بهِ امراءهُ وعساكرهُ وذكر ايضاً عن بكدار انهُ اسلم

وقد بقي الاسلام في اعقاب الاويغور طائفة جنكيز خان الى يومنا هذا. ففي جغرافية اليزه ركلوس "ان الاويغور والطانغوت سكان بلاد كانسو كانوا قديماً من عبدة اللاما ومن النساطرة فاسلموا واسلم بهم جميع سكان الشمال والغرب من مملكة جغطاي ثم ازداد عددهم بهاجرة المهاجرين من اهالي التركستان الشرقي ومسلمي المغول الذين بقوا من عهد تمرلنك وبهذا صارت الاغلبية للاسلام في هذا القسم من مملكة الصين"

ولما دخل ابن بطوطة الصين على ما ذكر في رحلتهِ كان الاسلام فيها غضّاً وافراً حسبما يفهم من كتابهِ فهو يقول في الجزء الرابع من رحلتهِ "وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون فيها بسكناهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون"

ولما ذكر مدينة زيتون قال "وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والارض ودارهُ في وسطها كمثل ما في بلدة سجلماسة في بلادنا وبهذا عظمت بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة". ثم قال عمن تعرّفهُ من صدور تلك البلاد "وجاء اليّ قاضي المسلمين تاج الدين الاردويلي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبدالله الاصفهاني وهو من الصلحاء وجاء اليّ من كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي احد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا بهِ اشد الفرح وقالوا جاء من ارض الاسلام ولهُ يعطون زكوات اموالهم فيعود غنياً كواحد منهم"

وقال عند ذكرهِ مدينة صين كلان "ان ببعض جهاتها بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاضٍ وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون امور المسلمين كلها راجعة اليهِ وقاضٍ يقضي بينهم وكان نزولي عند اوحد الدين السنجاري وهو احد الفضلاء الاكابر وذوي الاموال الطائلة"

وذكر عند وصولهِ الى مدينة قنجنفو ان المسلمين فيها يسكنون داخل السور الثالث وانهُ نزل عند شيخهم ظهير الدين القرلاني وقال عن الخنساء انها ست مدن كبار وان بالمدينة الثانية منها مسكن اليهود والنصارى والترك وبالثالثة مسكن المسلمين وبها المساجد ولاولاد عثمان ابن عفان المصري وهم كبراء المسلمين فيها زاوية تعرف بالعثمانية وبها طائفة من الصوفية والمسلمون كثيرون في هذه البلدة

والظاهر ان الاسلام ما برح ينتشر في آفاق الصين حتى بلغ عدد اهلهِ عشرات من الملايين . زعم سكاتشوف انهم عشرون مليونًا فقط وذهب الاكثرون الى ان عددهم فوق هذا بكثير واحصاهم صاحب كتاب (le mahométisme en Chine) المحمدية في الصين خمسة وثلاثين مليونًا وزعم بعضهم انهم اربعون مليونًا وقال آخرون انهم يربون ايضًا على ذلك وان السواد الاعظم في ولاية كانسو هو منهم وهناك مدينتا سالار وكنكيابو محطا رحال الطلاب والمتفقهين من جميع اقطار الاسلام الصينية. وقد احصي عدد المساجد في بعض مدن كانسو فبلغ مئات وهو ما لم يعهد الاَّ لعواصم الاسلام الكبرى مثل الاستانة العلية ودمشق والقاهرة وان كثيرًا من ولايات الصين الشمالية ثلثها من المسلمين وهم اهل التجارة والكد والعمل ولذلك تجد حالتهم اجمل وازين من حالة بقية الصينيين وكثيرًا ما يأخذون اولاد الفقراء من الوثنيين ويربونهم في حجر الاسلام خصوصًا عند حصول المجاعات الشديدة . وقد شدَّد فقهاؤهم عليهم في اداء الزكوات فيجمعونها في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شدائدهم و يسدون بها عوز محاويجهم فتجد المعدمين منهم قليلين ولهم بعضهم على بعض حنان ورأفة وحفيظة فيما بينهم وعلى عدوهم لا توجد في الامم التي تساكنهم كذلك بسبب تجافيهم الافيون وانواع المسكرات تجد اجسامهم احسن من اجسام غيرهم فهم يفوقون جيرانهم الصينيين صورة ومعنى و يسميهم الصينيون " هواي هواي " وهذا لقب طائفة الاو يغور في الماضي واما هم فيؤثرون ان يسموا "كيا ومن" اي اهل الدين عطفًا على " ان الدين عند الله الاسلام ". ومسلمو بلاد يونان الجنوبية يعرفون باسم "بانطى" وجميع المسلمين هناك يتميزون عن سائر الاهالي بلحاهم وشاراتهم ووحدة ملابسهم ويلوح عليهم من النُعرَة والانفة ما لا يلوح على سواهم وكلهم من اهل السنة والجماعة ولكنهم في الفقه فئتان الحنفية والشافعية وهم يكرهون جدًّا الاختلاط بالوثنيين ولا يزوجونهم وانما يأخذون من بناتهم في الاحايين شراءً بالدرهم

وقد وقعت لمسلمي الصين في هذا القرن مع اهل تلك المملكة حروب تشيب لها الاطفال اذا استقصى خبرها المؤرخ لم تكفهِ فيها المجلدات وملخصها ان اول ثورة حصلت هناك هي في بلاد يونان بسبب عملة من الفريقين كانوا يعملون في احد المعادن فاسفر القتال عن الغلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحنق من ولاة الصين مبلغهُ فاستنفروا اليهم الوثنيين قاطبةً ونادوا باستئصال شأفتهم وتعفية آثارهم وذلك في يوم معين من شهر ايار احد شهور سنة ١٨٥٦ فاستشعر المسلمون ذلك قبل وقوعهِ واخذوا لهُ اهبتهم وجمَّروا واستلأموا فلما وقعت الواقعة توفرت الطائلة لجهتهم ولم تنل الحكومة منهم مأربًا الاَّ في القرى التي مسلموها قليلون .

وتكررت الوقائع وعمد الفريقان بعضهم لبعض من اكثر جهات البلاد والمسلمون في غلبة وظهور حتى افتتحوا عنوة مدينة " طالى فو " وهي منيعة حصينة من الطراز الاول في حصون الصين وفتحوا منها طريقًا الى برمانيا يسربون منهُ اليها الميرة والسلاح ثم استولوا على مدينة " يونان فو " حاضرة البلاد ومضى على دولتهم هذه وهبوب ريحهم بتلك الارض ثلاث عشرة سنة والصين لا تزداد امامهم الا انخذالاً حتى ايقنت ان لا قبل لها بقهرهم بذباب السيف فمالت الى اعمال الحيلة والدسائس وجاذبت زعماءهم حبال الرشوة ومنتهم الاماني وادرّت عليهم العطايا الوافرة سرًّا وولتهم الاعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم وحلت بنفثات سحرها عقدة جامعتهم بل استمالت بعض رؤَسائهم الى ان وقفوا في صفها يقاتلون بني ملتهم فبديهيًّا ان تنحلّ بعد ذلك عصبتهم وتفشل ريحهم وان يزرع الصينيون فيهم الانتقام حتى يهلك منهم ثلثون الفًا بحد السيف ويلحق اقوام منهم بمملكة برمانيا

اما في شمالي الصين فاستطار شرر الفتنة سنة ١٨٦٠ وذلك في " هوانشيو " شرقي " سينغان فو " وكانت الدائرة على الصينيين وتأثرهم المسلمون في كل سهل وجبل يقتلون و يسبون ولكنهم عجزوا عن دخول سينغان فو لمناعة اسوارها ثم امتد لهيب الثورة في تلك البلاد ونادى منادي الاسلام بياللثارات فقاموا قيامة الرجل الواحد وفرَّ الصينيون والمغول من امامهم وانهال المسلمون في اثرهم يشلونهم شلاًّ و يستقصونهم اسرًا وقتلاً وامتلأَت ولايات شانسي وكانسو عيثًا ودمارًا والتجأَ الوثنيون الى الكهوف والمغاور وظنوا انها مانعتهم فلم تكن بمانعتهم واشتمل الخراب على تلك البلاد حتى لم يبقَ قرية الأَخوت على عروشها ولم يذر المسلمون الأَعلى المسيحيين ولم يبقَ عامرًا من تلك الجهات الاَّ الامصار الكبيرة بما ادير عليها من سياج الاسوار . وقُدّر عدد الذين هلكوا في هذه المعمعة بالملايين . وحدَّث بعض مؤَرخي الافرنج ان من المسلمين من بلغ منهُ الحنق ان قتل اولادهُ وامرأَتهُ ليتوفَّر على الجهاد . والحاصل ان هذه الفتنة كانت من اكبر الفتن واستمرت خمسة عشر عامًا كاد ينقطع امل الصين في خلالها من استرداد البلاد ولكن لم يلبث الشقاق ان دخل بين المسلمين فادخل عليهم الوهن وتشظّت عصاهم قطعًا فنالت منهم عساكر الامبراطور واسترجعت الشانسي ثم الكانسو ثم معاقل تيان شان وبددت شمل الباقين من الثوار في دز ونغاريا ولكنهم لا يزالون الى الآن اهل صولة وشوكة وشأنهم على ازدياد وجدهم في صعود ومنهم كثير من الحكام وقواد الجيش . وكثير من المؤَرخين الاوربيين يظنون ان لهم وحدهم مستقبل السلطان في الصين . وقد بعثت الدولة الروسية مرةً بعثًا علميًّا جال في الصين وجاب آفاقها واطلع على دخائل امورها فكان من جملة ما قررهُ تحذير الروسية

من مستقبل الاسلام في تلك المملكة لانهُ ينمو ويتقدَّم واذا اخذ يوماً بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الاقصى انقلاباً عظيماً لان الصين اسلاميةً ليست كالصين وثنيةً (وانتم الأَعلون ان كنتم مؤْمنين)

شكيب ارسلان

الجرائم واسبابها

الجرم لغةً الذنب وعرَّفهُ علماءُ القانون بما يقع من فعل او حركة خلافاً للحق والعدل والقانون . او هو كل فعل نصَّ القانون بالعقاب عليهِ لكونهِ منافياً للعدل عابثاً بمصلحة الجمهور

والجرائم على اختلاف انواعها القانونية لا تخلو منها امة من الامم ولا جيل من الاجيال ولا تختص بمصرٍ دون آخر بل تستوطن وتستقرُّ في جميع الامصار سواءٌ كانت آهلة باقوام متوحشين او متمدنين . وقد تنبه لها في القرن الماضي جماعة من المحققين وفي مقدمتهم الاستاذ لومبروزو الايطالي واهتموا بمعرفة الاسباب التي تحمل الناس على اقترافها وبعد التنقيب توصلوا الى كشف حقائق جلَّت وان قلت ولا جناح عليهم اذا قلَّ ما اكتشفوهُ مع طول مدات البحث ولا لوم اذا لم يبلغوا الغايات المرومة لانهم قلال ولان العقبات التي اعترضتهم في خلال التحقيق كثيرة لا يعترض مثلها غيرهم في التنقيب عن غيرها من الحقائق العلمية

ومع ان البحث عن الجرائم واسبابها مهم جدًّا ترى الجرائد العربية عموماً مقصّرة عن الخوض فيهِ والعناية بدرسهِ الأَ ان مجلة المقتطف تعرضت لهُ غير مرةً كما ترى في مقالة الجنون والجرائم المدرجة في الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر ومقالة منع الجرائم المدرجة في الجزء السادس من المجلد الثاني والعشرين ومقالة الجرائم والاوهام المدرجة في الجزء الاول من المجلد الثالث والعشرين . وقد عنَّ لخاطري الضعيف على ما بي من العجز والتقصير ان اطرق باب هذا البحث مستلفتاً انظار علمائنا الاعلام الى استجلاء غوامضهِ منبهاً اطباءنا الحاذقين لكشف كثير من اسرارهِ

اطبق العلماء في كل عصر واتفقوا على ان الاجتماع ضروري للنوع الانساني لان الواحد من الناس لا بدَّ لهُ في تحصيل غذائهِ وكسائهِ والدفاع عن نفسهِ من الاستعانة بابناء جنسهِ والانسان بطبعهِ الحيواني ميال الى الشر نازعٌ الى الظلم

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

وهذا الطبع الحيواني لا يفارقهُ ولو انتظم في سلك الاجتماع بل يرافقهُ فيهِ ويدفعهُ الى

منافسة غيرهِ ومغالبتهِ وتملك ما بيدهِ بالاعتداء عليهِ . ولا بدَّ من وازع يصدُّ الناس عن الاعتداء ويدفع بالعقوبات بعضهم عن بعض حفظاً للنوع الانساني واستبقاءً للعمران البشري . فقامت الحكومات ووضعت قانون العقوبات غير ان هذا القانون شرَط ألاَّ يعاقَب المجرم الاَّ اذا كان عاقلاً مميزًا حرًّا . ولا يخفى ان العقوبات لا تقوى على تغيير طباع المجرم بعد بلوغهِ وصيرورتهِ عاقلاً مميزًا ولا تؤَثر في الاسباب التي صيرتهُ مجرماً ولهذا يتحتم على محبي المجتمع الانساني ان يبحثوا عن الاسباب التي تولد الجرائم ويتفقوا بعد معرفتها على استنباط دواء يؤَدي الى استئصالها او يُفضي على الاقل الى تقليل وقوعها واتقاء شرورها

وقد ظن كثيرون ان الفقر من اهم اسبابها وانهُ يحمل الانسان على الاجترام والعبث بنظام الاجتماع ولكن هذا الظن لا يصدق في كل الاحوال لانهُ علم بالتحقيق ان ما يقترفهُ الانسان من الجرائم محمولاً عليهِ باضطرارهِ الى القوت انما هو قليل بازاء ما يجترمهُ بغير هذه العلة وان بني البشر لا يمتنعون من اقتراف المعاصي واتيان المخازي اذا حصلوا كل ما يحتاجونهُ من الاغذية والملابس والامتعة والمباني او بلغوا من التأنق فيها غايتهم بل يقدمون على اتيانها في الشدة والرخاء وفي حالتي الفقر والغنى

وقال آخرون ان تقدُّم الانسان في التمدن يمحو الجرائم ويزيل اثرها وهذا القول معترض عليهِ بان اقواماً من المتوحشين مع كونهم ناشئين على ما نشأ عليهِ اباؤُهم واجدادهم متخلقين باخلاقهم متمسكين بعاداتهم ما زالوا حتى الآن يراعون حقوق بعضهم بعضاً ويحترمونها اكثر مما تراعي اعظم الشعوب تمدناً وتحترم حقوق بعضها البعض الآخر ولم يكن التمدن ليؤَثر في الجرائم تأثيرًا جوهريًّا بل أثر تأثيرًا عرضيًّا في كيفية ارتكابها وخفَّف من صرامة العقوبات عليها

ومن اهم الوسائل لتقليل الجرائم ان يعنى بتربية الاولاد في المدارس الابتدائية وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم وتعليمهم آداب السلوك واشرابهم المبادئ الصحيحة . ويجدر بوالديهم بل يجب عليهم ان يعاونوا المدرسين والمدارس بان يُشربوا اولادهم تلك المبادئ في بيوتهم ويلقنوهم اياها ويعودوهم عليها منذ الصغر . وهذه المعاونة تتم بتحسين احوال الأُمهات وتسهيل امورهنَّ المعاشية اذ يتعذر على الأُم ما دامت منهمكةً في التماس غذائها وتحصيل حاجتها وحاجات اولادها ان ترضعهم المبادئ القويمة وتخلقهم بالاخلاق الحميدة

ويتعين على كل دولة ان تهتم بصحة رعاياها وتستنفد وسعها استئصالاً للامراض التي تفسد اجسامهم وعقولهم لان الباحثين علموا بالاختبار ان معظم الجرائم ينشأ عن مثل هذه الامراض وان عدد المجرمين يتكاثر بتكاثرها ولو بلغت احوال سكانها في الرفاه ما عساهُ ان تبلغ . ولا يخفى

ان ضعف الانسان جسمًا وعقلاً مضرٌ باخلاقهِ مفسد لطباعهِ دافع لهُ على ارتكاب الموبقات

ويجب على ذوي التشريع ان ينظروا في الجرائم والعقوبات متبصرين في شأن المجرم غير مقتصرين على التروي فيهما دون الالتفات اليهِ وعلى رجال القضاء ايضًا ان يقدّموا النظر في المجرم واحوالهِ على البحث عن جرمهِ وعقابهِ محققين بادئ ذي بدء ميل المجرم وصفاتهِ مستقصين اهم الاسباب التي جعلتهُ مجرمًا باحثين عما يضمن استئصالها او اتقاء شرّها وعن تأثير كل نوع من انواع العقوبات . واذا اهمل رجال القضاء تقصّي هذه الامور الجوهرية أدّى اهمالهم الى انحرافهم عن جادة العدل بالميل تارةً الى التشديد في عقوبة الفتيان والفتيات الذين اذنبوا لاول مرة والجنوح تارةً الى الرفق بالمنبعثين في الشقاوة فيبعثونهم على التمادي فيها والاصرار عليها

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

اما الحكم على المجرم بعقوبة الحبس فيجب ان يكون عادلاً ليؤَثر في نفسهِ ويقوّم سيرهُ في مستقبل ايامهِ ويردع غيرهُ عن ارتكاب مثل جرمهِ . واذا لم يكن الحكم عادلاً فلا يكون مفيدًا. ولا تتم الغاية التي وضع السجن لها الاَّ اذا خرج المجرم منهُ معتبرًا بما حلَّ بهِ من العقاب متأهلاً لنيل نعمة الحرية واذا أُطلق سراحهُ غير متعظ بالعقوبة التي عوقب بها فيكون السجن قد استوفى من العقوبة نصفها بجعل المذنب عبرةً للجمهور وقصَّر عن استيفاء النصف الآخر الاهم اعني بهِ تأديب المجرم وتهذيبهُ وتأهيلهُ للحرية . وهذا التأهيل مستصعب جدًّا وقد يكون احيانًا مستحيلاً . وحقيق بالحكومة وواجب عليها ان تختار لادارة السجون مأمورين من الذين حنكتهم الايام متصفين بمعارفهم معروفين بآدابهم اكفاء للادارة ولافادة السجناء وتهذيب اخلاقهم وتقويم ما اعوجَّ من امورهم واذا كانوا غير مستجمعين هذه الصفات خرج السجناء من سجونهم غير متعظين وربما انطلقوا منها ميالين الى الشر بما سرى اليهم فيها من الفساد بالعشرة الرديئة

ولم يخطر على بال المحققين ان يدرسوا هذا الموضوع ويبحثوا عنهُ بحثًا علميًّا الاَّ في القرن الماضي ونظموا تسهيلاً لدرسهِ جداول احصائية افادتهم فوائد ذات شأن . ولو وجدت منظمة قبل القرن المذكور لعرف بها رجال القضاء ما اذا كانت الجرائم على ازدياد او تناقص وعلموا ما للعوامل الطبيعية والاجتماعية من التأثير في طباع المجرم واهوائهِ ولكانت وسيلةً للتخفيف من وطأَة جورهم على المجرمين والرقة من غلظة عقوباتها فانهم كانوا احيانًا يفرطون في الخشونة الى حد ان يعاقبوا مجرمًا بالشنق على جرم يعدهُ القانون الآن من نوع الجنح او من قبيل المخالفات. وهذه الجداول توضح لكل شعب عدد الجرائم التي اقترفها افرادهُ وانواعها وعدد الذين سيقوا

الى المحاكمة ومقدار ما حكم بهِ عقاباً على كل مجرم مع بيان سنهِ وصنعتهِ ودرجة تهذيبهِ وكيفية سلوكه في خلال مدة حبسهِ وما اذا كان قد عاد الى جريمتهِ وكم مرة كررها . ومن رأي العالم مور يصون الانكليزي الذي نأخذ عنهُ ونستند اليهِ ونعتمد عليهِ في كل ما نكتبهُ بهذا الصدد ان يضاف الى هذه الجداول بيان موجز عن اطوار المجرم وعشرتهِ ومخالطتهِ وسلوكهِ قبل اقدامهِ على الجرم لتعلم اهم الاسباب التي حملتهُ على ارتكابهِ او ان يستنهج منهاج المدارس التأديبية في بلادهِ بعد تعديلهِ تعديلاً يوافق المرام . فان ارباب المدارس المشار اليها يقيدون اسماء الاولاد ووالديهم ووطنهم ويبينون مجمل مزاياهم وامانتهم ورزانتهم وهل اودعوا السجن قبلاً ام لا واذا كان احدهم ذا حرفة فيرقمون مقدار الاجرة التي كان يتناولها مقابلةً لعملهِ . وقد اتفق الخبيرون على امور ذات بال بهذا الشأن سنأتي اذا سمح المقام على بيانها

والجرائم كالادواء والقاضي الحاكم كالطبيب المداوي ويتعين على ذاك ما يتعين على هذا اي ان يبحث اولاً ليعرف الاسباب قبل فرض العقاب كما يبحث الطبيب الحاذق عن علل الداء قبل وصف الدواء والاَّ كان الحكم غير نافع والعلاج غير ناجع . وبمعونة الجداول الاحصائية يستطيع رجال القضاء ان يفرغوا على المجرمين عقوبات لا تزيد على استحقاق جرائمهم ولا تنقص عنهُ آمنين معها الخطاء الفاضح الذي يقع كثيرًا بسبب اهمالها . وقد قال الدكتور سَنْدر الالماني واكَّد انهم حاكموا مئة مجنون فعلموا بجنون ثمانية وعشرين منهم وعاقبوا الباقين كعاقلين حال كونهم مجانين ما اوجب القانون مسؤوليتهم ولا أجاز معاقبتهم

ويتفق في بعض الاحيان ان يزيد عدد الجرائم في البلاد بترقي سكانها وسمو نفوسهم الى انتهاج سبيل اقوم واليق بمدينتهم فتكثر الجرائم المخالفة النظامات والسنن المستحدثة كما لو فرضت حكومة على رعاياها التعليم الاجباري مثلاً او مراعاة نظامات صحية او ما اشبه مما لم يألفوهُ من قبل ولم يتعودوهُ فانهم لا ينقادون لها دفعةً واحدة بل تكثر منهم مخالفتها الى ان تتم لهم مؤالفتها . وفي حال كهذا لا تدل زيادة الجرائم على انحطاط القوم ادبياً كما ان نقصانها لا ينبئ دائماً بترقي الشعب بل يكون احياناً منذراً بتقهقرهِ دالاً على ان القانون غير مرعي بين ظهرانيهِ او ان الفوضى فاشية فيهِ

ومن مقول البعض ان الشرائع والقوانين في هذه الايام زادت الجرائم وكثرت عدد المجرمين اذ جعلها الشارعون ملازمة للناس كما يلزم الظل صاحبه ومن رأيهم ان يتأنى ذوو التشريع قبل سن القوانين والنظامات جاعلين من قواعدهم الاساسية ابعاد الناس عن السجون لا تقريبهم اليها وان يتعاهدوا دائماً وابداً كل ما يشرعون بالتعديل والتهذيب ليبقى مطابقاً لاحوال

الامة موافقًا لترقيها وان يمعنوا الرويَّة في العواقب اذ يحدث ان شخصًا مهذبًا نافعًا للمجتمع يأتي فعلاً مغايرًا للنظام البلدي مثلاً فيعاقب بالحبس مع زمرة من ذوي النفوس السافلة والسوابق السيئة فتفسد آدابهُ بمخالطتهم. ويذهب كثيرون من المحققين في اوربا واميركا الى ان الجرائم تزيد مع ترقي الحكومات وتنوُّع وظائفها واتساع نطاق اعمالها واحكامها . واثبت المستر ولس والمستر وينز المحققان الامركانيان ان الجرائم في الولايات المتحدة على ازدياد وان نموها هناك يسبق نمو السكان ويفوقهُ سرعةً . وقال الدكتور مشلر النمساوي والاستاذ فون لزت الالماني بازديادها في المانيا ايضًا. وجاء في رسالة الاستاذ المشار اليهِ ان المحاكم الالمانية حاكمت خمسة عشر مليونًا في مدة لا تتجاوز عشر سنين. وحقق الموسيو هنري جولي الفرنساوي ان الجرائم في فرنسا زادت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر زيادة عظيمة وان هذه الزيادة مابرحت غير منقطعة. ويشفُّ الاحصاء القضائي الانكليزي عن ان انكلترا تشبه غيرها وهي وان امتازت من هذه الجهة فامتيازها هذا غير حقيق بالتنويه والاطراء

ثم ان زيادة الجرائم في اكثر البلدان وان تكن مسايرة لعدد السكان فانهُ لممكن ان يسامي نموُّهم نموَّها ويفوقهُ . ويقال ان في انكلترا تكافوءًا بذلك اي ان زيادة الجرائم وزيادة السكان يجريان فيها كفرسي رهان ويعزون الفضل بتقليل عدد الجرائم في تلك البلاد وتخفيفهِ عما هو في غيرها الى المدارس التأديبية والصناعية التي انشأَها الانكليز تأديبًا للمذنبين واهل البطالة والكسل من فتيانهم وتهذيبًا لاخلاقهم وهم يفرغون الجهود ويصرفون العناية في عضد هذه المدارس وترقية شؤُونها . وقد لاحظ المدققون ان عدد السجناء يقلُّ يوميًا حال كون الجرائم لم يقلَّ عددها عن معدلهِ السابق ونسبوا قلة عددهم الى تلطيف العقوبات وتنقيص مُدَدها وتأيدت هذه الملاحظة بما يصرح بهِ رجال القضاء من انهم سالكون في هذه الايام سبيل التؤَدة والرفق بالمجرمين

هذا ولا يخفى ان الجرائم لا تؤْذي الناس باجسامهم فقط بل يتعدى اذاها الى اموالهم وبسببها تنفق الحكومات نفقات باهظة تذهب بجانب من دخلها . ففي الولايات المتحدة لا تقل نفقات " البوليس " عن خمسة عشر مليون ريال امركاني بحسب تقدير المستر وينز المشار اليهِ آنفًا. ومثل هذه النفقات يزيد سنة فسنة في انكلترا فانهم اختصوا السجون والبيمارستانات الانكليزية عام ١٨٩١ بنحو مليون جنيه وأجروا على المدارس الصناعية والتأديبية اكثر من نصف مليون جنيه وعينوا للبوليس نفقة تربي على خمسة ملايين ونصف مليون جنيه ولو اضافوا اليها ما يتقاضاهُ بعض المأمورين المعينين لها والحقوا بها ما تقتضيهِ المحاكمات لبلغ مجموع

النفقات التي تؤَديها انكلترا سنويًّا سبعة ملايين ونصف مليون جنيه . وزِد عليهِ ما يفسدهُ المجرمون في البلاد و يتلفونهُ من اموال العباد ومثل هذا المجموع يوازي نفقات حرب من الحروب الهائلة وربما فاق عشر خرج الحكومة ولو أُنفق هذا المال في اعمال خيرية او مشروعات نافعة لعاد باموال طائلة وافاد البلاد وسكانها فوائد ادبية ومادية جزيلة

ومن نكد الدنيا ان الجرائم والحروب لا يرجى ان تخلو عنها امة او تنجو منها تمام النجاة على ان الحرب صارت في هذا العصر ابعد وقوعًا بين الدول لارتباطهنَّ بقوانين اذا رُوعِيَت امتنع على دولة منهنَّ ان تشهر حربًا على دولة أُخرى فضلاً عن ان الامم المتمدنة اصبحت راغبة عن الحرب كارهة لها نازعة الى السلم تائقة اليهِ. ولعلهم يعرضون بعد قرن او اكثر عن الحرب ويستعيضون عن تحكيم المدفع والحسام بتحكيم العقول والاقلام . اما حظ الجرائم فلا يكون كحظ الحروب ولا يقاربهُ قبل الوقوف على اسبابها التي يقسمونها الى ثلاثة اقسام . الاول يتعلق بالمكان والاقليم والفصول والثاني بالمجتمع من حيث احوالهُ السياسية والاقتصادية والادبية والثالث يتعلق بالشخص ومنبتهِ ونسبهِ وعمرهِ وجسمهِ وعقلهِ وجنسهِ . وهذه الاسباب وان كانت لا تؤَثر غالبًا الاَّ مرتبطًا بعضها ببعض فحقيقٌ بالناظر فيها الباحث عنها ان يتروَّى في كل قسم من اقسامها الثلاثة ويبحث عنهُ على حدةٍ لتتجلَّى لهُ غوامضهُ وتنكشف اسرارهُ

محمد ابو عز الدين

اكرم الكرماء

البارون هرش وزوجتهُ

لا غرابة اذا عدنا الى الكلام على اكرم الانام ولو امسى هو وزوجتهُ عظامًا رميمًا لان هبة كارنجي التي دوت بذكرها النوادي العلمية والادبية مليونين من الجنيهات دفعةً واحدة لمدارس اسكتلندا اعادت لنا ذكرى كريم آخر رأينا من الاجحاف ان لا نصف هباتهِ وهبات زوجتهِ بالاسهاب

هو البارون موريس ده هرش اكبر اولاد البارون يوسف هرش الذي رقَّاهُ الملك لويس الثاني ملك بافاريا الى رتبة البارونية لاجل امانتهِ لعرشهِ وخدمهِ الكثيرة النافعة لهُ . كان جدُّهُ تاجرًا بالبقر فاثرى وصار ملك بافاريا يستدين المال منهُ . قيل سألهُ الملك مرةً كيف اثريت وانت تتاجر بالبقر فقال اثريت لاني اتاجر بالبقر ومع البقر

ولد البارون موريس هرش في مونخ عاصمة بافاريا في ٩ دسمبر سنة ١٨٣١ ودرس في بركسل عاصمة البلجيك ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر دخل بنك بيشوفسهيم وغولدشمت وهما من اكبر صيارفة بركسل فظهرت حالاً نجابتهُ ومقدرتهُ المالية واقترن بابنة بيشوفسهيم وهي اصغر منهُ بسنتين فاقترن بهِ السعد باقترانهِ بها لانها كانت كملاك يحرسهُ ويرشدهُ ويبثُّ البهجة والحبور في حياتهِ

ولم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى صار المدير لذلك البنك والموسّع لاعمالهِ وكان شديد الزكانة قوي العزيمة مقتدرًا على ادارة الاعمال وتنظيمها فانشأ سكة الحديد من بودابست الى وارنه على البحر الاسود وكان العمل ثلاثة اقسام أُخذت بالقرعة واصابت قرعتهُ القسم الاصعب منها لكنهُ ربح منهُ ربحًا طائلاً والاثنان الآخران خسرا لانهُ كان امهر منهما في ادارة الناس والاعمال

وافلس المسيو ديمنسو المالي البلجي العظيم سنة ١٨٦٩ فابتاع البارون هرش منهُ سندات سكة الحديد التركية وكان المظنون انها ابخس ممتلكاتهِ قيمة واقلها جدوى لكنهُ احسن ادارتها حتى صارت اساس ثروتهِ . وظلَّ ينشئُ سكك الحديد متغلبًا على المصاعب الطبيعية والعراقيل السياسية حتى قدّرت ثروتهُ بعد خمس عشرة سنة بعشرة ملايين جنيه الى ثلاثين مليونًا

وكانت هذه الثروة الطائلة في يدهِ ويد زوجتهِ وسيلة لاغاثة الفقراء والمظلومين من ابناء ملتهِ فلما طُرد اليهود من روسيا عرض على حكومة الروس مليونين من الجنيهات لتنفقها على التعليم حاسبًا ان السبب الاكبر لطردهم من بلادِ الروس هو الجهل الضارب اطنابهُ فيها فاذا انتشر التعليم والتهذيب زال منها التعصب والتحمُّس . فرفضت حكومة الروس هذه الهبة السنية

وكان يحسب اليهود من اقدر الناس على الفلاحة والزراعة بناء على ما رأى منهم في بلاد المجر . قال " ان اكثر الفلاحين منهم هناك حتى ان خدَمة الدين الكاثوليكي يعتمدون عليهم فقط في زراعة اوقاف الكنائس وكل اصحاب الاملاك الكبيرة يفضّلون اليهود لاجتهادهم واستقامتهم ومهارتهم فهذه الامور دعتني الى الاهتمام باصلاح شأنهم وسيظهر انهم لم يفقدوا الميل الى الزراعة الذي امتاز بهِ اسلافنا وسأبذل جهدي لاهيئ لهم اوطانًا اخرى في بلدان مختلفة حيث يستطيع الفلاّح ان يكون مستقلاً بحرث ارضهِ ويستفيد من جدهِ واجتهادهِ "

فابتاع الاراضي الفسيحة في جمهورية ارجنتين وولاية نيوجرزي باميركا واماكن اخرى واعطاها لابناء امتهِ ووهب جمعية استعمار اليهود مليونين من الجنيهات واعطى اليهود الروسيين

المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية نصف مليون جنيه لكي يتعلم ابناؤهم ويتهذبوا ويصيروا مثل الاميركيين . فمضى كثيرون منهم الى الولايات المتحدة الاميركية واستوطنوها وزرعوا الارض وانشأوا المعامل وربوا المواشي ولهم في ولاية نيوجرزي مدرسة صناعية ومدرسة زراعية

وقد يُظَن لاول وهلة ان رجلاً يبلغ اهتمامهُ بامر امتهِ وملتهِ هذا المبلغ لا يهتم بغيرها لكنَّ البارون هرش لم يكن كذلك بل كان يعتمد على الاكفاء من كل الامم ويهتم بالمساكين من كل الطوائف . وهو الذي بعث بالمؤلف هال كاين الى روسيا يبحث عن احوال العامة من شعبها وما يحتاجون اليهِ وبعث اليها ايضاً بالكاتب الشهير ارنلد هوَيْت (مكاتب جريدة التيمس) لهذه الغاية . كتب المستر هويت عن البارون هرش "انهُ يشتغل في امر روسيا وتوزيع الصدقات فيها من الساعة السادسة صباحاً . وانا اكتب هذه السطور الآن والى جانبي ثلاثة مجلدات كبيرة كلها مكاتيب منهُ تدلُّ على اهتمامهِ الشديد ورثائهِ للمحتاجين والمظلومين . وقد تصدَّق باكثر من المال تصدَّق بوقتهِ وقواهُ العقلية لنفع ابناء ملتهِ "

وكانت زوجتهُ تشاركهُ في كل اعمالهِ وصدقاتهِ . قال المستر اسكار ستروس سفير الولايات المتحدة في تركيا "انها اكبر مساعد لزوجها وكان يستشيرها في كل امر ويخبرها بكل شيء وكانت تقرأُ مكاتيبهُ وتساعدهُ في كتابة اجوبتها وترافقهُ في اسفارهِ وتشاركهُ في امانيهِ ولم تكن تشاركهُ في يأسٍ لانهُ لم يكن ييأس من امرٍ قط . وهي امرأة فاضلة انيسة المحضر رقيقة القلب كريمة جدًّا انفقت جانباً كبيراً من ثروتها الخصوصية على المدارس والملاجىء والمستشفيات وكانت تزورها بنفسها وتهتمُّ بادارتها . رأيتها في القسطنطينية تزور احياء الفقراء يوماً بعد يوم وتساعدهم بيدها مسلمين كانوا او مسيحيين او يهوداً من غير تمييز بينهم "

وقصَّ المستر ستروس على السيدة سارة بولتن القصة التالية قال اخبرني رئيس مهندسي سكة الحديد التي انشأها البارون هرش ان اول قسم من السكة وصل من اسوار القسطنطينية الى قرية تبعد عنها عشرة اميال وكانت الحكومة العثمانية قد عينت لهُ مكان المحطة في وسط القرية واشترطت على نفسها ان تشتري مكان المحطة وتهدم البيوت التي فيهِ وتسلمهُ للبارون هرش . فقام السكان ونادوا بالويل والحرَب مخافة ان لا تدفع الحكومة اليهم شيئاً من ثمن بيوتهم وارضيهم . وبلغ الخبر زوجة البارون هرش وهي في الاستانة فسألت زوجها عن جليتهِ فقال هو كما بلغكِ ولكن الامر ليس في يدي بل في يد الحكومة العثمانية والشروط التي بيني وبينها تقضي عليها ان تبتاع البيوت والاراضي من اصحابها وتسلمنيها . فقالت ان لم يكن

الامر في يدك فهو في يدي كم ثمن هذه البيوت والاراضي فقال نحو مليون فرنك فكتبت تحويلاً على البنك بمليون فرنك وارسلت وكيلها فدفع الى الناس ثمن بيوتهم وما يملكون وطيَّب خواطرهم . وبعد ايام أُحتُفل بفتح القسم الاول من سكة الحديد وكان اولئك المساكين اشد الناس جذلاً وحبوراً

وانشأَت مدارس في القسطنطينية قبل مغادرتها انفقت عليها ٢٥ الف جنيه ولها ولزوجها مدارس كثيرة وملاجئ في اكثر بلدان المشرق

ومن صدقات البارون هرش الكثيرة اربعون الف جنيه بعث بها الى امبراطورة الروس على اثر الحرب الروسية التركية لتنفق علي المحتاجين ومليون جنيه لتنفق علي اربعين مدرسة في غاليسيا يتعلَّم فيها الاولاد من كل المذاهب لانهُ كان يقول اني اسمع صوت المعوز فلا اسأَل أَهو من ملتي او من غير ملتي ولكن لا عجب اذا سمعتُ اكثر هذه الاصوات من ابناء ملتي وبذلت جهدي في اغاثتهم

وقد قدَّر المستر ستروس الهبات التي وهبها البارون هرش في حياتهِ باكثر من خمسة عشر مليون جنيه

وكان لهُ قصور كثيرة في لندن وباريس وبلاد المجر وبعضها من القصور الملكية القديمة ومنها قصر في باريس بنتهُ الامبراطورة اوجيني لدوكة البا ولم يكد البارون هرش ينزل فيهِ هو وزوجتهُ سنة ١٨٨٧ حتى مرض ابنهما وحيدهما وتوفي فيهِ وتركهما مصدوعي الفؤاد لكن وفاتهُ زادت رغبتهما في مؤاساة الحزانى والبائسين . وكان متجملاً بكثير من مناقب ابيهِ وامهِ عاكفاً على عمل الخير مغرماً بالخيل عندهُ كثير من الجياد الكريمة فباعها ابوهُ بعد موتهِ وتصدَّق بثمنها كلهِ وبكل ما ربحتهُ خيلهُ في السباق وهو مئة الف جنيه . ولما مات باعت زوجتهُ جيادهُ وتصدَّقت بثمنها كما فعل هو بجياد ابنهِ

وكان البارون هرش يضع صدقاتهِ في موضعها حتى تنتج عنها الفائدة المقصودة . قال البرنس بسمارك في هذا الصدد ”ان هرش هو الرجل الوحيد الذي لا يفقر الذين يتصدَّق عليهم“. وكان يأْتيهِ كل يوم اربع مئة مكتوب في طلب الصدقات وبعضها من ابناء الملوك وهؤلاء كانوا يستدينون منهُ ولا يوفونهُ غالباً فيعدُّ ما يعطيهم اياهُ صدقةً

وليلة العشرين من ابريل سنة ١٨٩٦ قضى نحبهُ بغتة بالسكتة الدماغية بعد ان عاش سنين كثيرة مثال الهمة والاجتهاد والاحسان وعلَّم الاغنياء بسيرتهِ وقدوتهِ كيف ينفعون الفقراء ويكونون بركة لنوع الانسان لا لعنةً عليهِ

وبقيت زوجتهُ ثلاث سنوات بعدهُ سائرة في خطتهِ خطة التصدُّق . قالت لامرأة زارتها في فرساليا ان الغنى الوافر عبء ثقيل على صاحبهِ وغاية ما اطلبهُ وما ارجوهُ ان اتمكن من انفاق اموالي كلها حتى يحصل من انفاقها اكبر نفع لاكبر عدد من الناس

ولم يمضِ سنة على وفاة زوجها حتى ارسلت اكثر من مليون ريال الى مدرسة الصنائع التي انشأَها في نيويورك حيث يتعلَّم شبان اليهود الذين هاجروا من روسيا . ولم تمضِ ثلاث سنوات على وفاتهِ حتى انفقت على الصدقات ثلاثة ملايين من الجنيهات . وجملة ما تصدَّقت بهِ هي وزوجها في حياتهما اكثر من خمسة وعشرين مليونًا من الجنيهات

كتب المستر ستروس " ان حياة البارونة هرش مثال للايثار وانكار الذات فان شغلها الشاغل كان كيف تستطيع ان تتصدَّق على الناس من غير ان يشعروا بالذل في نفوسهم وكثيرًا كنت اساعدها في فتح المكاتيب التي ترد اليها وكان متوسط ما يرد اليها في اليوم خمس مئة مكتوب من كل اقطار المسكونة وكان لا بدَّ من قراءة كل مكتوب منها واختيار ما تظن اصحابهُ اهلاً للمساعدة فتختار المكاتيب التي يجب ان يجاب اصحابها وتملي على الكتبة وتقضي بضع ساعات كل يوم في اجابة السائلين وارسال التحاويل المالية . هذه هي صدقاتها الافرادية غير صدقاتها العمومية الجمهورية كهباتها للمدارس والمستشفيات وما اشبه

" وكانت على غاية الوداعة والرصانة قلبها قلب ملاك ورأْسها رأْس فيلسوف قال زوجها لي مرةً انها لو كانت زوجة رجل فقير لكانت مثالاً لنساء الفقراء في الاجتهاد والتدبير

" لما كانت فتاة في بيت ابيها كانت سكرتيرًا لهُ في ما يتعلق بصدقاتهِ الكثيرة التي كان يتصدَّق بها ولما تزوجت صارت سكرتيرًا لزوجها في صدقاتهِ وكانت تحسن الكتابة بالانكليزية والالمانية والفرنسوية ولم تقتصر على ان تكون سكرتيرًا لزوجها في كل اعمالهِ الخيرية بل كانت تحضُّهُ دائمًا على عمل الخير وترشدهُ الى اساليبهِ . وقد كتبت اليَّ مرة تقول ان الثروة الوافرة مزية كبيرة ولكنها وديعة في يد صاحبها يُطلَب منهُ ان يستعملها حيث يكون منها النفع الاعظم

"ولم تكن تنفق على نفسها اكثر مما تنفقهُ امرأَة من اواسط الناس ولا كانت تهمل ترتيب بيتها وخدمها. وكانت تعمل اعمالها على غاية الدقة والانتظام. كنت راكبًا معها مرةً في ضواحي باريس فاوقفت المركبة بغتة وطلبت من احد خدمها ان ينزل ويفرّق على بعض الفقراء مبلغًا من المال ثم التفتت اليَّ وقالت ان الذين درسوا احوال المساكين لا يستصوبون هذا النوع من الاحسان وانا اعلم انهم مصيبون ولكن ما حيلتي وانا اسرُّ بان اعطي واريد ان اسرَّ نفسي

مثل غيري . وكانت تقول هذا القول على غاية الدعة والبساطة "

توفيت في مدينة باريس في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ وكان الاحتفال بدفنها بسيطًا جدًّا واحتفل بجنازتها في اماكن كثيرة في اوربا واميركا

ومن صدقاتها المعروفة

٤٠٠٠٠٠	جنيه	لجمعية الاستعمار اليهودية في لندن
٤٠٠٠٠٠	"	للجمعية الخيرية الاسرائيلية في باريس
٤٠٠٠٠٠	"	معاشات لمستخدمي سكة الحديد الشرقية
٢٠٠٠٠٠	"	ليهود بودابست
١٢٠٠٠٠	"	لجمعية الاوصياء في لندن
١٢٠٠٠٠	"	لمدرسة هرش في جاليسيا
١٢٠٠٠٠	"	لجمعية الاحسان في فينا
٠٨٠٠٠٠	"	لبناء مستشفى للاولاد المسلولين في الرڤيرا
٠٨٠٠٠٠	"	لبناء ملجاء للنساء الشريفات اللواتي افتقرن
٠٧٠٠٠٠	"	لدار الناقهين في مستشفى همستد بلندن
٠٤٠٠٠٠	"	لجمعية الاحسان

هذه الصدقات الكبيرة اما الصدقات الصغيرة التي تقلُّ الواحدة منها عن عشرين الف جنيه فكثيرة جدًّا و يبلغ مجموع ما تصدَّقت بهِ هي وزوجها اكثر من خمسة وعشرين مليون جنيه كما تقدَّمَ ولعلها كل ثروتهما او اكثرها

هذا هو الكرم الحميد وهذه هي المناقب التي يفتخر بها الرجال والنساءُ . والرجل وزوجتهُ شرقيان من بني اسرائيل من ارض فلسطين ولو كانت اوربا دارهما ومسقط رأسيهما

* * *

رواية امينة

الفصل السابع

نهضتُ في الصباح وانا مصابة بصداع شديد حتى لا اكاد استطيع الوقوف . فقد مرَّ عليَّ ليل لا اطول منهُ كنت احاول فيهِ جمع افكاري فاراها كالفرس الجموح . ونهضتُ مئة مرَّة من سريري اذ كنت افكِر بكلمة سمعتها او حركة رأيتها ممَّا تتألم لهُ النفس ثم احاول ان امحو ذلك من ذهني فلا اجد الى محوهِ سبيلاً . ولم يكن يمر امام ذاكرتي الأَصوَر المشهد الاخير الذي

شهدتهُ البارحة . وجعل ضميري يونبني تونيباً شديدًا وكنت اقول في نفسي لماذا لم ارفض طلبهُ بتاتاً لماذا ابحتُ لهُ ان يحبني لماذا لم اقل لهُ اني احب داود ولو كذباً فان اقتراني بذلك الرجل اسهل كثيراً من وقوعي في هذه الورطة وبهِ يُمنع ما وقع الآن من الشقاق بسببي في عائلة كانت عائشة على تمام الوئام لولاي ثم كنت احبُّ زوجي على تمادي الايام . ولكن قلبي كان ينفر من ذلك كلما خطر ببالي واردت اقناع نفسي بهِ

ولما اذَّن الظهر قُرِع باب غرفتي فنهضت وفتحتهُ وقلبي يخفق واذا انا بكنجه فقالت ألا تزالين صائمة قلت نعم وامسكتُ بيدها كمن تستغيث بها حاسبة انهُ لم يبقَ احد يفتكر بي غيرها وقلت لها لا اظنك صدَّقتِ كلام بوار

فقالت لا ادري لان الورقة وُجدت تحت عتبة الباب فكيف وُجدت لو لم تكن بوار صادقة

فقلتُ هي نفسها وضعَتها هناك . ثم قصصتُ عليها قصة ذهابنا الى الساحر والورقة التي اخذتها منهُ . فلما اتممتُ قصتي امسكت يديَّ بيديها وقالت لي يا مسكينة اني ارثي لحالكِ واخاف ان الامور لا تنتهي هنا . فقد امرتني هانم افندي ان آخذكِ الى غرفة القلفة وارى ادهم بك جالساً معها لا يفارقها ولولا ذلك لكان الله يعلم ما فعلتْ بكِ

فقلت لها وما يقول ادهم بك

فقالت لا يقول شيئاً بل ترك الذهاب الى الديوان وبقي في غرفة امهِ يكتب فيها لكي لا يدع لها فرصة للايقاع بكِ على ما اظن

فارتعدت فرائصي لكنني تجلَّدتُ وقلتُ لها ألم يقل نصر الله باشا شيئاً لنافذ بك . فقالت بلى لكن لم اسمع شيئاً مما قالهُ لهُ وبقي نافذ بك في غرفة ابيهِ مدة ثم مضى الى غرفتهِ . واليوم قاما صباحاً وخرجا معاً . والظاهر ان نافذ بك يعلم ان اخاهُ يقيكِ من امهِ فاختار ان يبتعد عنها الآن ولما خرج امرتْ ان تنقل امتعتهُ كلها من دار الحريم الى السلاملك لكي ينام هناك من الآن فصاعدًا ولا اعلم هل فعلت ذلك على علم من الباشا او على غفلة منهُ وامرت الاغوات (الخصيان) ان يمنعوهُ من دخول دار الحريم

فصرختُ " أَإلى هذا الحد "

فقالت نعم ولا بدَّ من انهُ يغتاظ من ذلك غيظاً شديدًا والآن تعالي معي والاَّ لم اخلص من لومها ولا تظني اني نسيتك اذا كنتُ لا ازوركِ لان زيارتي لكِ الآن تضرني ولا تنفعكِ

فقبَّلتها شاكرةً فضلها ومَشيت معها الى غرفة القلفة وكانت هذه في غرفتها فنهضت وقالت لي ابقي هنا وكان يجب على هانم افندي ان تحبسكِ في القبو . قالتْ ذلك وخرجتْ واقفلت

الباب فاقفلتهُ انا من الداخل ايضاً

ومرَّت ساعة بعد اخرى وانا احسُّ بثقل عظيم على صدري واعجب كيف لا ينصدع فؤادي . والظاهر ان ادهم بك لم يترك غرفة امهِ والاَّ ما تركتني كل هذه المدة . ولم يؤذَّن المغرب حتى كدت اجن من القلق والكآبة . وبعد ساعة من الزمان اتت كنجه وقرعت الباب ففتحت لها فادخلت اليَّ طبقاً عليهِ صحاف الطعام وهي تقول ان ادهم بك سأل عما اذا كنت افطرتِ فقالت لهُ زوجتهُ كلاَّ فامرني ان اتيكِ بهذا الطعام ولم تجسر هانم افندي ان تمنع ذلك في حضرة الباشا

وحاولتُ ان آكل شيئاً فلم استطع واخيرًا شربت بعض المرق وشكرتها . وسألتها قائلةً هل عاد نافذ بك فقالت نعم اتى دار الحريم واخبرهُ الاغوات بامر امهِ . فقلت لها وماذا قال لهم. فقالت لا شيء لان نفسهُ الابية تأبى عليهِ ان يظهر الذل امام العبيد . فقلت لها وهل علم نصر الله باشا بذلك وهل هو مستصوب لهُ . فقالت نعم على ما يظهر وهو مستخفٌّ بالامر ويقول ان كتابكِ سيكتب على داود بعد اسبوع من الزمان فينتهي الاشكال

فسكتُّ لاني كنتُ اكرهُ التزوج بداود واغتظت من المعاملة التي عومل نافذ بك بها ووددت ان يفعل شيئاً يظهر شهامتهُ وانهُ مغتاظ من هذه المعاملة

ووقفت كنجه ترتب الصحاف على الطبق وكانها تريد ان تقول لي شيئاً وهي تزن كلامها خوفاً من عواقبهِ ثم قالت لي يا امينة انتِ اعقل من ان تعتقدي ان نافذ بك يقترن بكِ . فقلتُ نعم اعلم ان ذلك محال

فقالت ان ولية هانم سيدتي ويجب عليَّ ان اطيعها ولكنها مخطئة في عملها وقد كتبت الى نافذ بك تخبرهُ عنكِ تقول لهُ انها تحب ان يقترن بكِ فكتب اليها هذه الورقة فاعطتني اياها لآتيكِ بها لانها لا تستطيع ان تأتي اليكِ بنفسها . قالت ذلك واعطتني ورقة وهذه اول رسالة كتب بها نافذ بك اليَّ ففتحتها وقرأتها واذا هو يقول فيها

عزيزتي امينة . اخبرتني ولية انهُ لم ينلكِ اذًى وقد كنتُ واثقاً بذلك ما دام ادهم بك يقيك . وسأُكلم ابي الليلة واتوسل اليهِ ان يأذن لي باقتراني بكِ فاذا اذن اضطرَّت امي ان تسلّم لهُ واذا ابى أُرسل اخبركِ غداً صباحاً . وغداً الجمعة يكون الخدم في الجامع فارسل اليكِ مفتاح باب الحريم فتفتحينهُ وتخرجين من غير ان يراكِ احد واكون انا بقايقي عند الرصيف فنمضي الى بيت واحد من اصدقائي ويكون القاضي في انتظارنا هناك فيكتب كتابنا ومتى كُتب الكتاب بطل كل اعتراض

نافذ

هذه اول رسالة حبية كتب بها اليَّ رسالة شغل مختصرة واضحة الاشارة والدلالة لكنها كانت عندي اثمن من كل ما يكتبهُ العشّاق من بث الاشواق لاني كنت اعلم حبهُ لي ولا اريد عليهِ دليلاً

ولما قرأت الرسالة قالت لي كنجه لا تصدقي مواعيدهُ لان ليس في يدهِ شيءٌ ما دام ابوهُ غير راضٍ ولا تزدادين الاَّ تعباً

فلم اجبها وخرجتْ واغلقت الباب . ومضت ساعة زمانية وانا انظر في هذه الرسالة مترددة بين ان اطيع قلبي وحبي لكاتبها او عقلي وما يجب عليَّ لامهِ . وقلت في نفسي انهُ يحبني ويحسبني اهلاً لاكون قرينة لهُ وقد رضي بالاهانة لاجلي فهل يليق بي ان اظهر العتو وانغص عيشهُ وعيشي لان اباهُ وامهُ لا يستصوبان اقتراننا . واشكل الامر عليَّ فلم اعلم وجه الصواب لاتبعهُ. وكنت حديثة السن قليلة الاختبار ووددتُ لو اجد من اثق بهِ فيشير عليَّ بما يجب ان افعلهُ. وبعد جدال طويل بين عقلي وقلبي غلبت المحبة فنهضت عازمةً ان افعل ما طلب مني. وكان يخطر ببالي ان نصر الله باشا ربما يسلم بطلب ابنهِ ولكنني لم اعتمد على ذلك بل عزمت افعل ما يأمرني بهِ قلبي وامسكت الباب فوجدت ان كنجه لم تقفلهُ حينما خرجت كانها لم تكن تستطيع ان تمنع نفسها عن مساعدتي

ولما سكنت الاصوات وعلمت ان الجميع خرجوا الى البستان قلت في نفسي اني اخرج الآن وامضي الى غرفتي واجلب منها فرجيتي ففتحت الباب رويداً رويداً وخرجتُ فسمعت ادهم بك يقول وهو واقف في الرواق امام البيت ان الباشا يحب عزَّت باشا ويجب ان يعيد الصداقة القديمة فيزوج عطيَّة لنافذ . فاسرعت الى غرفتي واخذت منها فرجيتي ويشمكي وكانت غرفة نافذ بك امامها وهي خاوية خالية فاثر فيَّ منظرها تأثيراً شديداً وقبل ان ابعدت عنها كثيراً سمعت وقع الخطى على السلم فعلمتُ ان هانم افندي صاعدة لاني اعرف وقع خطاها ولم استطع ان اعود الى غرفتي ولم ارَ لي مهرباً الاَّ من باب يفتح الى السلاملك ولم يكن لي وقت لافكر واتردد فدخلت من هذا الباب حالاً ولم اكد ادخلهُ حتى رأيت هانم افندي مارَّة امامي بقامتها الطويلة ووراءها بوار . فلما وقع نظري عليهما ارتعدت فرائصي لاني لو تأخرت لحظة لوقعتُ في يديهما وقُضي عليَّ . وقبل ان يطول تفكري في ذلك سمعتُ صوت نافذ بك فصرت كلي آذاناً لاني حسبتهُ هناك آتياً لخلاصي لكن خاب ظني لانهُ لم يكن هناك وكنت في ممرّ ضيق يؤدي الى السلاملك وفيهِ باب يوصل الى غرفة فيها نصر الله باشا فوقفت حيث كنت ورأيت نصر الله باشا جالساً امام مائدة عليها اوراق كثيرة ونور المصباح على وجههِ

وكان عابسًا مقطب الجبين ولم ارَ غيرهُ حينئذٍ في الغرفة ثم سمعت نافذ بك يقول لهُ انا اعلم يا مولاي انهُ لا يليق بي ان اتكلم معك في امر الحب والزواج ولكن لما رأيت امي ابت ان تصغي اليَّ ورأيتك فتحت الموضوع معي فارجو انك تغتفر هذه الجرأة مني وقد اخبرني اغا بك (اي اخوهُ الاكبر) انهُ جاءهُ مكتوب من اختي تتكلم فيهِ عن ابنة حميها وتشير بان اقترن بها فقلت اني لا اريد الاقتران بابنة عزَّت باشا

فقال لهُ نصر الله باشا انت حرٌّ لترفض الاقتران بها وانا لا اقدر ان اغصبك على هذا الاقتران ولا اريد ان افعل ذلك لو قدرت عليهِ . وغاية ما اطلبهُ منك ان تبطل ما ابديتهُ حديثًا من الميل لامينة لكي لا توقع بها ضررًا فان طيشك سيجعل امك عدوةً لهذه البنت ولو لم يبقَ ادهم في الحريم اليوم لندمتَ على الساعة التي رأتك فيها . وادهم لا يستطيع ان يحرسها دائمًا ولا انا واثق ان اوامري تُتبع حرفيًّا اذا امرتهم ان لا يلحقوا بها اذًى

فقال نافذ بك ولكن لماذا يلحقون بها الاذى وماذا يمنع اقتراني بها فانك ازوجت اختي ولية بعلي بك وهو ياور شركسي فلا اظنك تأنف من تزويجي بامينة . كلاَّ كلاَّ افندم (لان نصر الله باشا تهيأ للكلام) انا اعرف ما تريد ان تقولهُ لي وهو ان الشراكسة والشركسيات شذوذ عن القانون ولكن كم من رجل من الاعيان اقترن بابنة لقيطة لا يُعرف ابواها وجدتها امرأة وتبنتها وربتها فلنفرض ان امينة ابنة لقيطة وقد تبنتها امي وحقًّا انها ربيت في بيتنا كأنَّ امي تبنتها وليس لها اب ولا ام حتى نخجل بهما اذا اتيا الينا فلا ارى وجهًا لحرمانكما اياي مما اعدهُ السعادة الوحيدة لحياتي

وصمت نصر الله باشا يفكر في الامر ورأيت نافذ بك حينئذٍ وكان متكئًا على كرسي وعلى وجههِ امارات الاهتمام الشديد . ثم قال نصر الله باشا ان المسألة يا ولدي ليست ما يقولهُ الناس ولو كنتُ اعلم ان راحتك تتوقف على الاقتران بامينة ما كنت اتأخر لحظة عن التسليم اذ اقدر ان اجعل الناس يقولون كما اشاء لان المال والمقام يفعلان كل شيء في هذا الزمان بل اقدر ان اسلّم باقترانك بفتاة مسيحية ولا اخشى انتقاد احد. فقال نافذ بك وهذا هو التسليم بعينهِ يا ابي فهل ترتاب في اني احبها واود الاقتران بها من كل قلبي

فقال ابوهُ نعم ارتاب في ذلك لان الزواج عند الاتراك لا يتوقف على الحب وانا لست من اهل الزمان القديم حتى امنعك من الكلام على المحبة امامي ولكن انتَ نفسكَ آخذت نفسك لما اشرت الى المحبة عالمًا انها لا تستحق ان تكون موضوعًا للبحث والخلاف . فانت الان مفتون بهذهِ الفتاة وهذا شيء زائل يوجد اليوم ويزول غدًا فلا تنتظر مني ان اغيظ امك لكي

اجاريك على اهوائك

فصمت نافذ بك وقد قطب جبينهُ وقدحت عيناهُ شررًا ثم قال لابيهِ اتحسب اذًا يا مولاي ان سماحك لي بما اعدهُ اعظم سعادة لي في هذه الحياة وبما يجعلني اشكرك عليهِ مدى العمر لا يستحِقُ ان يذكر في جانب غيظ امي

ولم يكد يتم كلامهُ حتى ارتفع حاجبا نصرالله باشا وعقد الغيظ في جبينهِ اسرارًا فقال لهُ بعُجْب وخيلاء ان شكرك لي لا قيمة لهُ في عيني ما دام عاريًا من الاحترام الواجب ولا انتظر لك سعادة من الاقتران بفتاة كانت فاتحة تعلقك بها ما اراهُ من قلة الاحترام لوالديك

فقال نافذ بك حالاً العفو يامولاي العفو فاني لم اقصد قط ان اقلل من احترامي لك ولا انا مجنون حتي اغيظ ابي وليس لي صديق غيرهُ في هذا الوقت ولكن اذا كانت حياتي كلها تتوقف على ما يقرُّ قرارك عليهِ هذه الليلة فلا تعجب اذا رأَيتني مهتمًّا بهِ الى هذا الحد

فتبسم ابوهُ قليلاً وقال اني اصدّق انك مهتم بهذا الامر الآن وانك تكلمني فيهِ بالجد لا بالهزل ولكني لا اصدق انك تبقى على ذلك طويلاً

فقال ابقى طول حياتي ولا اغير وان غيرت

فقال ابوهُ وان غيرت فعلى من تدور الدائرة على تلك المسكينة بعد ان تكون قد جرحتَ امك جرحًا لا تبرأُ منهُ واوقعت الشقاق والخصام في بيت ابيك فاسمع ما اقول لك كان يمكنني ان اقول لك من اول الامر اني لا اريد ان تتزوج بها ولكنني فضلت ان اباحثك لكي اقنعك بفساد رأْيك

فقال وان كنت لا اقتنع

فقال ابوهُ لا بد من ان تقتنع ولا يبرح من بالك انك لست حرًّا لتفعل ما تشاءُ وان سلطتي عليك غير محدودة

فصمت نافذ بك ولم يجب بكلمة ولكن لاحت على وجههِ لوائح النفور والعصيان ونظر ابوهُ اليهِ مستفسرًا وكأنهُ لحظ ذلك ولم يرد ان يوسع الخرق

وشعرت حينئذٍ بحرج الموقف الذي كنتُ فيهِ موقف التنصُّت على الناس سرًّا وبكَّتني ضميري على ذلك واردت الرجوع الى دار الحريم فسمعت لغَطًا كثيرًا فيها لان الجواري كنَّ يضعن المائدة في دارها ولذلك لم اجد لي سبيلاً الى الخروج من حيث كنت واعدت نظري الى الغرفة التي امامي وانا اكاد اذوب خجلاً من نفسي لاني حسبتني ملومة باستماع ما اسمعهُ على هذه الصورة . فسمعت نصرالله باشا يقول لابنهِ " اشرتَ الآن الى اني افضل مرضاة امك

على راحتك الدائمة وهذا خطأٌ لانني ان كنت اراعي مرضاة امك فيكون ذلك لعلاقتها بامينة لا بكَ ولا بي لانك اذا تزوجت بهذه الابنة المسكينة على غير رضى امك حسبتها عدوة لها وانتقمت منها . افتكر بما يمكن ان تفعلهُ بها وقل لي أَيجوز لك ان تضحي هذه المسكينة ارضاءً لاهوائك

فقال نافذ بك حينما تصير زوجتي فانا اقدر ان احميها ولا يحتمل ان امي تسيء الى كنتها ولا انت ترضى بذلك

فصمت نصرالله باشا مدةً وظهر عليهِ الغيظ والاندهاش ثم التفت الى ابنهِ وقال لهُ اني استغرب جدًّا كيف عشت في الحريم كل هذه السنين ولا تعرف ما يجري فيهِ فانهُ لو لم يرسل لها ادهم الطعام مع جاريتهِ الخاصَّة كان قضي عليها الليلة

فاقشعرَّ بدني وارتعدت فرائصي حينما سمعتهُ يقول ذلك . وخطر ببالي حينئذٍ ان السم اسهل علاج يلجأُ اليهِ في الحريم ويقال ان هانم افندي تخلَّصت من كثيرات على هذه الصورة وقلت في نفسي هو يخشى اذًا من ان تقتلني سمًّا

وصمت نافذ بك بضع دقائق ثم قال بصوت منخفض . متى تزوجت بها يترتب عليَّ ان اقيها من كل شرٍّ ولا تتعذَّر عليَّ وقايتها حينئذٍ

فقال ابوهُ بغيظ شديد انا لا ارضى بذلك ولا اظنك احمق الى هذا الحد حتى تعصي امري

فصمت مدة وكانت الجواري تضحك وتجلب في دار الحريم وانا سجينة في تلك الغرفة ثم سمعتهُ يقول بصوت مرتجف رنَّان

اني احبها حبًّا شديدًا حتى اجسر ان اخالف امرك واقترن بها. الله يعلم اني لا اريد ان افعل شيئًا الاَّ بامرك ورضاك ولكن اذا كنتُ لا استطيع ان استرضيك فلا حيلة لي

فاجابهُ ابوهُ بالازدراء والاحتقار لك ان تفعل ما تشاءُ ولكن لا يكون لومك الاَّ على نفسك فانك يوم تقترن بها لا تعود تدخل بيتي ولا ترى وجهي بل وتربة اجدادي لا تعود ترى هذه البلاد . اقترن بها وانظر ما يحلُّ بك يوم تقترن بها ترسل الى اليمن ولا تعود الى هنا ما دمتُ حيًّا . قد حذَّرتك فاختر لنفسك. ولست اسأَلك كيف تستطيع ذلك لاني واثق انك قد دبَّرت التدابير اللازمة ولا يهمني معرفتها

ولما كنت اصغي الى هذه الكلمات التي قطعت حبال آمالي ونسفت امانيَّ نسفًا سمعت واحدًا يمشي في الممشى فاختبأْت خلف الباب المفتوح واذا بعبد اسود مرَّ امامي الى الغرفة التي فيها نصرالله باشا ودعاهُ الى الطعام فقام وتبعهُ وكان الى جانبي باب آخر يفتح الى غرفة اخرى فدخلت

منهُ واختبأَت فيها ودخل نصرالله باشا واقفل باب السلاملك وراءهُ وخرج نافذ بك من الغرفة ونزل الى الدار السفلى

وجعلت افكرّ في ما سمعتُ ورأيتُ فصمَّمتُ علي ان لا اقترن بنافذ بك الاَّ برضى ابيهِ لانهُ قادر ان يفعل كل ما تهدَّدهُ بهِ ومع ما كنت اراهُ فيهِ من الشهامة وكرم الاخلاق كان مستبدًّا برأيهِ لا يتجاسر اولادهُ على معصيتهِ . وكنت اعلم ان ما يحتملهُ الضباط في بلاد اليمن من المشاق وشظف العيش لا يستطيع نافذ بك احتمالهُ لانهُ لم يعتد الاَّ رفاهة المعيشة

ولما صممت هذا التصميم شعرت بقوة جديدة في نفسي ولم اعد افكرّ في ما يأُول اليهِ امري وما تكون عاقبتهُ عليَّ لاسيما وانني كنت حينئذٍ في موقف ينسى الشجاع عندهُ شجاعتهُ فجعلتُ افكِرّ في ان سبيل النجاة قد سدَّ في وجهي باقفال باب السلاملك وانهُ ربما يُرسل العشاء اليَّ الآن فلا اوجد في غرفة القلفة فيعلم امري . وبقيت نصف ساعة افكر في طريق للنجاة فلا اجد واخيراً سمعت واحدًا صاعدًا على السلم ثم اقترب نحو الغرفة التي كنت فيها ووقف هو ورجل آخر عند بابها ثم سمعت صوت نافذ بك يقول أَلست عازمًا على دخول الحريم الآن فاجابهُ اخوهُ كلاَّ لأَنَّ معي اوراقًا لا بدَّ من النظر فيها وانا ادخن سيكارة قبل المدفع ثم افترقا فاشعل ادهم بك سيكارتهُ ودخل الغرفة التي كنت فيها وتلمَّس فيها حتى وجد طاولة في وسطها فاشعل عود كبريت اضاء بهِ شمعةً عليها ووقف وظهرهُ متجهًا اليَّ وانا واقفة مكاني لا ادري هل اخرج قبل ان يراني وابقى في الممشى الى الصباح او اتجاسر واتقدَّم اليهِ واطلب مساعدتهُ . وقبل ان اصمم على امر من الامرين دار ليأتي بكرسي يجلس عليهِ فوقعت عينهُ عليَّ فوقف مبهوتًا كأَنهُ يرى خيالاً ثم دنا مني ووضع يدهُ على كتفي كأَنهُ لم يصدق عينيهِ وقال امينة أَأَنتِ هنا ما اتى بك الى هنا

فلم اجبهُ ولم استطع الجواب بل انطرحت على كرسي بجانبي واجهشت في البكاء فوقف امامي وقفة الحيرة ثم قال لي لماذا لم تناديني ان كنتِ محتاجة الى شيءٍ فقد بقيت في البيت النهار كلهُ مخافة ان تحتاجي الى شيءٍ فلا تجدي من يلبي نداءكِ ولم استحسن ان آتي اليكِ من تلقاء نفسي . الم يكن الأَليق بكِ ان تناديني الى غرفتك من ان تأتي لترينني هنا

فقلتُ لهُ اني لم آتِ لاراك هنا ولكنني اود ان اتكلَّم معك على كل حال . ثم صمتُّ ونظرتُ في وجههِ وكنت اتوسم فيهِ دائمًا سمات الشهامة والفضل واثق بهِ تمام الثقة اما الآن فرأَيتهُ فوق ذلك كلهِ رأَيتهُ الرجل الوحيد الذي يمكنني ان اعتمد عليهِ في ساعة الشدَّة واطلعهُ على كل ما في ضميري . ولما خطر على بالي هذا الخاطر كدت اذوب خجلاً وقلت في نفسي

كيف اطلعهُ على ما انا فيهِ لكنني تجلدت لاني لم ارَ امامي سبيلاً آخر واطرقت راسي وجعلت اقصُّ عليهِ قصتي من حين اتتني رسالة نافذ بك واخبرتهُ بما سمعتهُ منهُ ومن ابيهِ

فاصغى اليَّ صامتاً ولم يفُهْ بكلمة ولما اتممتُ قصتي اخذ يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وانا اسائل نفسي قائلةً لعلَّهُ اغتاظ مني لعلَّهُ اغتاظ من عزمي على الهرب مع اخيهِ ولم اكد اتصوَّر ذلك حتى شعرت كأَن الدم حرق وجهي والعرق تصبب من جبيني فوددت ان تنشق الارض وتبتلعني . وعاد بعد قليل ووقف امامي وقال لي اني ارثي لكِ من كل قلبي فقد كنت اظن انك تحبين داود . لا يحمر وجهكِ فانك لم تفعلي شيئاً يستحَى منهُ . هلمي نمعن نظرنا في الامر قلتِ ان ابي تهدَّدهُ بالنفي اذا اقترن بكِ . فاطرقتُ راسي علامة الجواب لانني لم استطع الكلام وصمت هو مدةً ثم قال اودُّ من كلَ قلبي ان اساعدكِ ولكني لا ارى سبيلاً . يستحيل عليهِ ان يقترن بكِ من غير رضى ابي ولا افهم كيف يخطر ببالهِ ان ذلك ممكن . ولقد اخطأَ في تهديدهِ ابي لانهُ لم يبقِ لي وجهاً لاسترضائهِ يوماً من الايام وقد كان استرضاؤُهُ صعباً قبل هذا التهديد لانهُ لا يغير رأيهُ بسهولة فكيف يمكن استرضاؤُهُ بعد الآن

ولما رأَيتُ انهُ لم يبقَ لي باب للرجاء قلتُ لهُ ألا يمكن ان اخرج من هنا اينما ارسلتني ارسلني لكي ابعد عن هذا المكان

فلم يقل شيئاً بل نظر اليَّ والكآبة على وجههِ وعاد الى الطاولة وكتب كتاباً وجيزاً ثم دنا مني وقال اني اعرف حرج الموقف الذي انتِ فيهِ وما يمكن ان ينالكِ من الاذي من امي لو بقيت هنا ولو كنتِ لا تستحقين شيئاً من ذلك ولا لوم عليك بل اللوم كلهُ علينا وحدنا ولكن يوجد مكان يمكنكِ ان تمضي اليهِ فقد كتبت اليَّ اختي سنية تطلب مني ان ارسل اليها واحدة تساعدها في تربية اولادها وهي مثل اختكِ لان جدتكِ ربتها فتستريحين عندها وتسرين بها وانا أُؤَكد لكِ انها تلاقيكِ على الرحب والسعة

فقلت هذا احسن شيءٍ ثم صمت بغتةً لانهُ خطر ببالي ان نافذ بك ربما يتبعني الى هناك وكأَنهُ قرأَ افكاري فقال لي اذا قبلتِ مشورتي فخير لكِ ولهُ ان يبقى ذهابك مكتوماً عنهُ ولا يعلم احد الى اين ذهبتِ الا ابي ثم فتح ساعتهُ وقال لم يضرب الموقع حتى الآن ولا يزال ابي مستيقظاً اتريدين ان اذهب واخبرهُ . فقلت نعم اذهب لوجه الله ولكن خذني معك الى غرفتي . فوقف وعلامة الشك في وجههِ وقال لا اظن ذلك ممكناً لان امي لا تزال مستيقظة والخدم في الدار والاحسن ان تبقي هنا . فقلت لهُ وكيف تعتذر عن وجودي هنا . فقال أليس لكِ ثقة بي فقلت بلى لي كل الثقة وقبل ان اتم كلامي خرج واقفل الباب وراءهُ .

البقية تأتي

اغنياء اميركا

يتوق الانسان طبعًا الى الوقوف على اخبار الغريب النادر . وهل من شيء اغرب واندر من حشد الكثير من المال في القليل من السنين . خصوصًا وان المال في هذه الايام قوة عظيمة يسعى كل واحد الى الحصول عليهِ ولهُ الشأن الاكبر في سياسة الممالك وشؤُون الحياة

وقد فاق الاميركيون غيرهم في هذا المضمار واحرزوا من المال ما لم يحلم بهِ كسرى ولا قارون . وساذكر في هذه المقالة طرفًا من اخبارهم لان فيها فضلاً عن غرابتها فوائد كثيرة تهمُّ معرفتها مَن خاض معترك الحياة ولا يزال يغالب الايام فتغلبهُ تارة ويغلبها أُخرى

ويستفاد من هذه الاخبار ان الذين اثروا من الاميركيين كانوا متصفين بالهمة والاجتهاد والمواظبة وبُعد النظر واقتحام الاهوال التجارية والثبات على العمل ولو كان كلهُ خسارة في بدئهِ الى غير ذلك من المزايا التي لا غنى عنها لطالبي السبق في ميدان الحياة . ولكن الطبع غلاَّب والظلم من شيم النفوس فمتى ذاق المرء لذة الكسب هاجت اطماعهُ وضحى امامها كل ما فيهِ من عواطف الحنان وقال الحرب خدعة حتى اذا تمكن من مناظريهِ لم يشفق عليهم ولم يذر . فكم من الوف افقرهم الاغنياء بمطامعهم الاشعبية . ولو تتبعنا تاريخ كلٍّ منهم لرأَينا انهُ بنى ثروتهُ على انقاض ثروة المئات بل الالوف من مواطنيهِ ومناظريهِ

ويلقب اغنياء اميركا بالاربعمائة وهم عدة بيوت يبلغ عدد اعضائها نحو اربع مئة نفس ويسكن اكثرهم الشارع الخامس من مدينة نيويورك فاذا قالوا ان فلانًا من الاربعمائة او من سكان الشارع الخامس قصدوا بذلك انهُ من ملوك الثروة في اميركا . ولو بقي اولئك الناس في بلدانهم التي نشأُوا منها يجمعون باطماعهم اموال مواطنيهم ويفاخر بعضهم بعضًا بالابهة والترف لهان الامر على سكان النصف الشرقي من الكرة الارضية ولم يكن لنا فائدة كبيرة من استقصاء تواريخهم لكن اميركا ضاقت بهم فهاجموا اوربا هجومًا لم يرَ نظيرهُ منذ ايام تيمورلنك وجنكيز خان لا بالسيف بل بالدينار وجابوها من الغرب الى الشرق حتى انك لا تزور مدينة اوربية الاَّ رأيت الاميركيين فيها ينفقون الاموال الطائلة ورأَيت اشراف العالم القديم وقد كانوا حتى الساعة يعتقدون انهم اغنى اهل الكرة يختبئون منهم خوفًا وخجلاً . فاعظم الاشراف في اوربا قد لا تتجاوز ثروتهُ المليون او المليونين من الجنيهات واغنياء اميركا قد ينفق الواحد منهم في سنتهِ ما ينيف على ذلك وهو آمن مطمئن . ولم ينحصر النزاع في المسائل الاجتماعية بل تعدَّاها الى المسائل التجارية والاقتصادية . فالشركات الاميركية تبيع الحديد والزيوت والفحم

والمصنوعات المختلفة في اوربا بارخص مما تبيعها معامل اوربا نفسها . وانكلترا اعظم البلدان الصناعية قد بليت بمزاحمة اميركا لها في مستعمراتها حتى في نفس عاصمتها لندن حيث بنوا الترامواي الكهربائي على عمق عشرين متراً تحت سطح الارض من منتصف المدينة الى غربيها وهم شارعون الآن في ابتياع جميع السكك الحديدية التي تحت الارض في تلك العاصمة لتحويلها الى ترامواي كهربائية وهذه السكك ممتدة تحت اكثر شوارع المدينة . وقد قام بعض اعضاء البارلمنت ينتقدون على الحكومة ميلها الى مساعدة التجارة الاميركانية فتبرأ الوزراء من ذلك واثبتوا ان لا سبيل لايقاف تيار البضائع الاميركية الجارف الا بسعي المعامل الانكليزية في تحسين بضائعها وسرعة عملها وبيعها باثمان البضائع الاميركية . وقد دخلت تجارة اميركا هذا القطر منذ بضعة اعوام فاشترت الحكومة المصرية بعض القاطرات والعربات من اميركا وانشأ الاميركيون كبري نهر الاتبرة الذي قامت له قيامة الجرائد الانكليزية واصحاب المعامل في انكلترا

وجميع ارباب المال في اميركا او كما يدعونهم غالباً ملوك الثروة فيها من اصل فقير ولدوا في اميركا او هاجروا اليها طلباً للرزق فابتسم لهم السعد وخدمتهم الايام حتى صاروا على ما هم عليهِ . وهاك تاريخ بعض المشهورين منهم

(١) جون ركفلر ملك الزيت

وهو اغنى اهل العالم وتقدر ثروتهُ بثمانين مليوناً من الجنيهات ودخلهُ اليومي بنحو تسعة آلاف جنيه . وقد كانت ثروتهُ سنة ١٨٥٥ الف جنيه فقط ثم صارت سنة ١٨٧٠ عشرة آلاف جنيه وبلغت سنة ١٨٧٥ مئتي الف جنيه وسنة ١٨٨٥ عشرة ملايين جنيه وسنة ١٨٩٠ عشرين مليون جنيه وتبلغ اليوم نحو ثمانين مليوناً كما تقدم

بدأ ركفلر باحتكار زيت البترول والزيوت التي تستعمل لتزييت الآلات البخارية ونحوها منذ نحو ثلاثين سنة وكان لهُ ندٌّ اسمهُ جورج ريس يخرج من معملهِ الذي ينقي فيهِ زيت البترول مئة الف برميل سنوياً فاهتم ركفلر حتى تمكن من مبيع زيتهِ باقل مما كان يبيعهُ ريس . ولما بحث هذا عن السبب وجد ان شركات السكك الحديدية تلزم معامل الزيت المكرر ان تضع زيوتها في براميل وتشحنها في عربات الشركة اسوة ببقية البضائع مع انها تسمح لشركة ركفلر بنقل زيتها في عربات مخصوصة كالصهاريج الكبيرة فلا تدفع سوى أجرة نقل الزيت مع ان بقية المعامل تدفع اجرة نقل الزيت ونقل البراميل التي فيها الزيت فتدفع نحو ٢٠ جنيهاً عن شحن كل عربة زيادة عما يدفعهُ ركفلر . وظن ركفلر ان ريس قد يئس من الفوز في

المزاحمة فعرض عليهِ ان يبيع معمله' و يعتزل تجارة الزيت فابى هذا واصرَّ على رفع دعواه' الى المحاكم فرفعها و بدئ بالتحقيق فاتضح ان رئيس شركات السكك الحديدية ومديريها هم ركفلر وشركاؤُه' مديرو معامل الزيت وانهم يمتلكون نحو خمس السكك الحديدية كلها في اميركا فكانوا ينقلون الزيت على نفقة الشركات ثم يعود الربح لهم ٣٠ او ٤٠ في المائة

وبينما كان التحقيق جاريًا خلا الجو لركفلر ولم يبقَ له' مزاحم اذ اقفلت معامل تكرير الزيت كلها لعجز اصحابها عن مجاراتهِ . ثم رفعت الدعوى الى المحكمة فحكمت بحل شركة الزيت وبان لا حق لشركات السكة الحديد ان تجري على تعريفتين مختلفتين لنقل الزيوت . وظن ريس انهُ فاز بمرامهِ ولكن فوزه' هذا كان ظاهرًا فقط فان ركفلر التجأ الى السلطة الادارية لما خسر دعواه' امام السلطة القضائية ففاز وبقيت شركة الزيت على حالها وبقيت شركات السكك الحديد تأخذ أُجرة نقل الزبوت من ركفلر اقل مما تأخذ من غيرهِ وكان ذلك سنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٠٢ حكمت المحكمة ثانية بحل شركة الزيت فادَّعى ركفلر انهُ اذعن لحكمها غير ان انهُ اذعانهُ كان وهميًّا فانهُ ابدل اسهم الشركة باسهم أُخرى ولا تزال اعمالها جارية الى الآن رغمًا عن احتجاج المحكمة . وقد وزعت هذهِ الشركة الارباح على مساهميها بين ٢١ مارس سنة ١٨٩٢ تاريخ صدور الحكم بحلها وشهر سبتمبر سنة ١٨٩٨ ستًّا وعشرين مرة على معدل ١٣٧ في المئة من رأس المال اي ان كل مئة ريال ربحت ١٣٧ ريالاً . ولما كان رأس الشركة عشرين مليونًا ونصف مليون من الجنيهات كانت ارباحها في هذه المدة ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات

ولركفلر سلطة عظيمة قلَّ ان يضارعه' فيها احد ومعيشة الوف من الناس تتوقف على البقاء في خدمتهِ . فعنده' ٢٠ الف عامل في معامل الزيت عدا عن بحَّارة سفنهِ البخارية وعددها مئتا سفينة وهو يمتلك سبعين الفًا من عربات السكة الحديد المخصصة لنقل الزيت ولهُ اسهم كثيرة في جميع شركات السكك الحديدية في اميركا . قيل انهُ طلب يومًا من شركة سكة حديد بنسلفانيا ان تأخذ من بقية معامل الزيوت ضعفي الاجرة التي تأخذها من معملهِ فأَبى مديروها ذلك اولاً ولكنهُ توعدهم جميعًا بالعزل ولما رأَوا ان اكثر اسهمها له' خضعوا لاوامره صاغرين . وقد فعل مثل ذلك بعدة شركات من شركات النقل حتى باتت كلها طوع بنانهِ يديرها كما يشاء

والظاهر ان ركفلر قد نصب من الجهاد وهمومهِ وعزم على الاعتزال . خطب حديثًا في احدى جمعيات الاحداث في نيويورك فقال : —

ما هو النجاح أهو جمع المال ان افقر انسان اعرفهُ ليس عندهُ سوى المال . ولو خيرت لفضلت ان اكون فقيرًا ويكون لي غرض اسعى اليهِ

ثم ذهب مساء اليوم الذي القى فيهِ هذهِ الخطبة الى نادي التجار فاجتمع حولهُ اصدقاؤُهُ اذ رأوا عليهِ امارات التعب والهم وسألوهُ عما شاع عن عزمهِ على اعتزال العمل فاجاب نعم وادفع راتبًا سنويًا مئتي الف جنيه لمن يتولى اعمالي كلها نيابة عني وعليهِ ان يعرف جيدًا صناعة استخراج الزيت وتنقيتهِ وادارة السكك الحديدية وكيفية استخراج الحديد وقيمة العقارات وان يكون قد اتقن ادارة شركات النقل البحرية واعمال البورصة ويكون غاية في الامانة

فقاطعهُ احد الحاضرين وقال ماذا تعني بالامانة

فاجاب : على مَن يريد النيابة عني ان يكون امينًا لي ويحرص على مالي حرصهُ على مالهِ الخصوصي ولو ادَّى ذلك الى ابطال تجارة الغير . وبعبارة أُخرى انهُ يجب على نائبي ان يضعني مثالاً امامهُ في العمل . ثم قال تعلمون انهُ عدا اشغال شركة الزيت التي لي (وهي المعروفة باسم الستاندرد أُويل) والاشغال الاخرى المعروفة عليَّ مراقبة ٣٨ الف ميل من السكك الحديدية . ثم تنهد وقال من يأتني بالرجل الذي اطلبهُ ادفع اليهِ عشرين الف جنيه وخرج من النادي الى بيتهِ مثقلاً بهمومهِ وغمومهِ

وان يكن ركفلر اضرَّ بقليلين من الاغنياء الذين ناظروهُ اي قلَّل ثروتهم فقد افاد كثيرين من غيرهم لان هباتهِ للمدارس تقدَّر بالملايين وقد بلغت منذ خمس سنوات نحو ثمانية ملايين من الريالات وزادت عليها كثيرًا بعد ذلك

(٢) هنري هفميَر ملك السكَّر

بدأ هنري هذا واخوهُ ثيودور باحتكار السكَّر سنة ١٨٨٨ بمساعدة بعض الماليين وكان عملهما مقتصرًا في اول الامر على المضاربة فلما احتكرا السكر في جزائر الانتيل وفي اوربا اخذا يحددان الاسعار حسبما يشاءَان فلم تمضِ عليهما سنتان حتى ربحا بضعة ملايين من الريالات فوسَّعا اعمالهما وكان لهما مناظر كبير وهو شركة النهر الشمالي لتكرير السكر فارسلا اليها بلاغًا نهائيًا لتبطل العمل ولما ابت اعلنا عملاءَها انهما يبيعانهم السكر باقل مما تبيعهُ هي عشرين في المئة فاقبل الجميع عليهما وهبطت اسهم شركة النهر الشمالي هبوطًا فاحشًا ثم اعلنا العملاء بعد مدة ان اسعار السكر عادت الى ما كانت عليهِ بزيادة ٢٥ في المائة فعادوا كلهم الى شركة النهر الشمالي ولكنهم وجدوا اسعارها زادت ايضًا وذلك لان هفمير واخاهُ اشتريا اسهمها كلها

بسبعين الف جنيه ليأمنا مناظرتها ثم باعاها بعد ذلك بشهرٍ الى جمهور المساهمين بمئة واربعين الف جنيه . وفي السنة التالية عاودا الكرة علي هذه الشركة وفعلا بها كما فعلا اولاً وهاجما شركتين آخريين واضطراهما الى الخضوع واشتريا اسهمهما بثمانية وعشرين الف جنيه ثم باعاها بثمانين الفاً وبذلك تمَّ النصر لهفمير وصار ملك السكر بلا منازع . وتزيد ثروتهُ الآن على خمسين مليوناً من الجنيهات وربحهُ السنوي نحو اربعة ملايين فانهُ يبيع سنوياً نحو مليون ومئتي الف طن من السكر وذلك يعادل اربعة اخماس مقطوعيتهِ في الولايات المتحدة

وهو يمتلك اثنين وعشرين معملاً لتكرير السكر متفرقة في انحاء البلاد وعدد العملة فيها نحو عشرين الفاً . ولهُ عدا ذلك معامل لعمل البراميل ولعمل الفحم الحيواني الذي يستعمل لتكرير السكر ولقطع الاخشاب اللازمة للبراميل و يبلغ عدد العملة في هذه المعامل التكميلية نحو عشرة آلاف

وقد تشكلت لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ في اميركا لفحص احوال الشركات الكبيرة التي احتكرت تجارة البلاد فقرر هفمير ان قيمة شركتهِ ثلاثون مليوناً من الجنيهات وربحها السنوي نحو ستة ملايين اي ٢٠ في المائة ونفقاتها السنوية نحو ستة ملايين ونصف من الجنيهات واجور العمال منها اكثر من ثلاثة ملايين ونصف . وفي معامل الشركة ٢٧٥ آلة بخارية مجموع قوتها اربعة وثمانون الف حصان وهي تعمل دائماً وتحرق يومياً الفين وثمانماية طن من الفحم الحجري وسبعة عشر الف متر مكعب من الماء و يصدر يومياً من معاملهِ خمسة واربعون الف برميل من السكر . ولم يكتفِ بالبيع بالمجمل بل تراهُ يزاحم الباعة بالتفاريق حتى اضطرهم ان يبيعوا بالاسعار التي يحددها لهم . ومركز شركتهِ في نيويورك في وال ستريت وغرفتهُ بسيطة الاثاث جدًّا ومنها يدير معاملهُ العظيمة والثلاثين الفاً من العملة الذين يموتون لموتهِ ويحيون لحياتهِ و يصدر اوامرهُ المطاعة الى جميع تجار السكر في اميركا . ويقدرون انهُ اذا استمرَّ سائراً على هذه الخطة لا تمضي سبع سنوات او ثمان حتى تصبح اسواق السكر في اوربا ايضاً طوع امرهِ

(٣) روبرت نَيْط ملك القطن

وهو اشد اصحاب الثروة صرامةً في معاملة مستخدميهِ مع ان ما قاساهُ في صباهُ كان يجب ان يجعلهُ ارأف الناس بالذين عضهم ناب الفقر واضطرهم الى العمل في معاملهِ

ولما كان في الثامنة من عمرهِ كان يعمل اربع عشرة ساعة في اليوم في احد مغازل القطن و يأخذ ٢٥ غرشاً في الاسبوع واذ رآهُ صاحب المعمل على جانب كبير من النباهة والاجتهاد

عينهُ كاتبًا وجعل راتبهُ الشهري ١٦ جنيهًا . وكان صارمًا ذا همة في العمل لا تعرف الكلال وخبرة في اشغال القطن قلَّ ان توجد عند غيرهِ فسُرَّ بهِ صاحب المعمل كثيرًا وجعلهُ شريكًا لهُ ولم يطلب منهُ ثمن حصتهِ (وكانت ٢٨ الف جنيه) بل ضرب لهُ موعدًا لايفائهِ . و بلغ دخلهُ اول سنة نحو الف وخمساية جنيه . ولما بلغ السادسة والعشرين من عمرهِ تخلَّص من صاحب المعمل الذي كان سبب نعمتهِ واشرك معهُ اخاهُ

وكانت تجارة القطن في اميركا محصورة كلها تقريبًا في شركة سبراج غير انها ابتليت ببعض الخسائر فاستغنم نيط الفرصة وهاجمها بكل قواهُ ولم تمضِ سنتان حتى افلست فاشترى معاملها بما هو دون الطفيف وبذلك اصبح هو واخوهُ المالكين لتجارة القطن في اميركا

ومدار عملهِ في مقاطعة بروفيدنس وفيها ١٥ قرية متشابهة البناء وكلها ملك لهُ . وتوفي اخوهُ منذ مدة فاصبح المالك الوحيد لها . ولهُ ٢١ معملاً يعمل فيها نحو ٧٥٠٠ عامل . ويبلغ عددهم مع نسائهم واولادهم نحو ثلاثين الفًا لا ملجأ لهم في الدنيا سواهُ

ومن غريب امرهِ انهُ يحب الاشجار والمناظر الطبيعية حبًّا يفوق الوصف ولما كان احد معاملهِ مبنيًّا في غابة غبياء لا تكاد اشعة الشمس تخرقها اضطرَّ ان ينير المعمل بالكهربائية مفضلاً ذلك على قطع اشجار الغابة ولا يزال مصرًّا على ذلك رغمًا عن ابتلاء كثيرين من عمالهِ بامراض العيون وهو يبيع عمالهُ جميع لوازمهم من مأكل ومشرب . والطبيب والقسيس والمعلم من مستخدميهِ يصدعون بامرهِ حتى ان المعلم لا يلقي عليهم من الدروس الاقتصادية والسياسية الاَّ ما يوافق رأيهُ

ويمكن تقدير ثروة هذا الرجل هكذا : ان عندهُ في معامل الغزل والنسج ٧٥٠٠ عامل ولا تكون اجورهم في اليوم اقل من ثلاثة آلاف جنيه ولا تكون في السنة اقل من مليون جنيه . واجور العمال في معامل القطن تساوي ١٥ في المئة من رأس مالها فيكون رأس مالهِ ستة ملايين وستمئة الف جنيه لكنهُ يربح منها في السنة مليون جنيه على الاقل ولو حُسب هذا الربح ربًا لرأس مال على معدل ٥ في المئة كان رأس مالهِ عشرين مليونًا من الجنيهات وهو على ازدياد

ستأتي البقية

نسيم برياري

* * *

الكونت تولستوي الروسي

تابع ما قبلهُ

ختمنا الكلام في الجزء السابق بما جرى على المائدة بعد الطعام . قال المستر كنان صاحب الحديث ولم تحن لي فرصة حتى الآن لاري الكونت وصف اعتصاب الصوم الذي وعدت بان اريهُ اياهُ فلما عدنا الى غرفة الاستقبال عدت الى الكلام على معاملة المنفيين في سيبيريا واخرجت الكتاب واريتهُ اياهُ وفيهِ وصف مسهب لما حلَّ باربع نساءٍ من المتعلمات المتهذبات اللواتي تآمرنَ على الصوم وبقينَ من غير طعام ستة عشر يوماً لكي ينجينَ مما حسبنهُ قساوةً بربرية لا تطاق . وقد كتبت كتاب الوصف مدام روسيكوفا احدى المعتصبات وهرَّبهُ من السجن سجين آخر كان سجنهُ قريباً من سجنها فجعل الكونت يقرأ الكتاب ويقطب وجههُ وبان لي من كلامهِ انهُ اطلَّع على حوادث كثيرة مثل التي فيهِ ويئس من اصلاح الحال ثم قال لا شبهة عندي في ان افعال هؤلاء المنفيات تشهد لهنَّ بالبسالة والشهامة ولكنني لا ابررهنَّ في ما فعلن لان فعلهنَّ مخالف لمقتضى الحكمة ولو اتبع المنفيون كلهم رأيي قبلما جاهروا بالعصيان لافادوا روسيا فائدة لا تقدَّر . فانَ رأيي هو الثورة الحقيقية التي تنفع البلاد فلو اتفق اهالي البلاد على ان لا ينتظموا في الخدمة العسكرية ولا يدفعوا الضرائب للانفاق على الجيش لتقوضت دعائم الحكومة الحاضرة . والطريق الوحيد لمقاومة الشر هو ان يمتنع الانسان عن فعل الشر لنفسهِ ولغيرهِ

فاستغربتُ مناداتهُ باسلوب ثوروي لا يمكن العمل بهِ على ما ارى وقلتُ لهُ ان الحكومة تجبر الناس على دفع الضرائب وعلى الخدمة العسكرية وعليهم ان يدفعوها ويتجندوا والاَّ اودعتهم السجون

فقال هذا ضرب المحال لانها لا تستطيع ان تسجن الامة كلها وان سجنتها حصلت الغاية المطلوبة لانها تمسي بلا مال وبلا جنود

فقلت ولكن يستحيل عليك ان تجعل الامة كلها تتفق على امر واحد وتفعلهُ في وقت واحد. وقد تستطيع ان تقنع مئة الف او اكثر من الفلاحين ليعملوا برأيك ولكن هل تترك وشأنك . كلاَّ بل حالما ترى الحكومة ان آراءك عاملة على الاضرار بها تمنعك عن التادي في عملك . وهبْ جدَلاً انك استطعتَ ان تقنع ربع السكان كلهم فان الحكومة تستطيع ان تجند من الثلاثة الارباع الباقية ما يكفي للقبض على الربع الذي اتَّبعك ووضعهِ في السجون او نفيهِ الى

سيبيريا وتنتهي هناك آراؤك وامانيك . ولا ارى لك سبيلاً الاَّ ان تنال من الحكومة حرية العمل بالسلم ان امكن او بالثورة اذا دعت الحال ولا تستطيع ان تعلِّم الناس وتقنعهم كيف يعيشون و يعملون ما دام في البلاد قوة اخرى ماسكة بخناقك تخمد انفاسك اذا فتحتَ فاك او رفعت يدك فكيف تفلح وانت كما انت

فقال اذا حقَّ لكَ ان تقاوم الشرَّ بالشر حقَّ لكل احد غيرك ان يقاوم ما يحسبهُ شرًّا فتمتلئ الدنيا من الحرب والخصام ولذلك يترتب عليك ان تعلّم الناس بوجود طريق آخر غير الشر لمقاومة الشر وهو طريق النصح والارشاد

فقلت ولكن اذا رأيتُ امامي رجلاً يضربني على فمي كلما حاولت الكلام فكيف استطيع النصح والارشاد

فقال اذًا تكون قد امتنعت عن ضربهِ كما ضربك فتريهِ بفعلك هذا انك ترفعت على خلَّة الانتقام البربرية ثم ان خصمك يكف عن ضرب رجل لا يقاومهُ ولا يقي نفسهُ . وقد ارتقى نوع الانسان بالذين تألموا لا بالذين آلموا غيرهم

فقلت ان الشكوى والتذمُّر لم يرقيا امَّة من الامم ولم ينل احد حقَّهُ الاَّ بالقوة وسفك الدماء على ما يظهر لي من تاريخ العالم . والامة التي ترضخ للذل وتسكن الى الهوان لا تنال حرية ولا راحةً

فقال ان تاريخ الانسان تاريخ ظلم وجور وحرب وخصام والناس مختلفون تمام الاختلاف في تحديد الظلم والجور فاذا ابحتَ لكل احد ان يقاوم ما يحسبهُ ظلمًا وجورًا ملأتَ الدنيا بالحروب والخصومات

فقلت ولكن ان كان الظلم نافعًا للظالم ورأى انهُ يستطيع ان يظلم غيرهُ ولا رادع لهُ ولا مطالب فهل يرجى ان يعدل عن ظلمهِ . و يظهر لي ان تعليم السلام الذي تعلِّم بهِ يقسم الناس فئتين فئة قاهرة ظالمة تجد الظلم نافعًا لها فلا تحول عنهُ وفئة مقهورة مظلومة تعدُّ المقاومة اثمًا فتخضع للذل ابد الدهر

الاَّ انهُ بقي مصرًّا على رأيهِ وهو ان الظلم لا يزول بمقاومتهِ بالقوة بل بمقاومتهِ بالخضوع واجتناب كل عمل من مقتضاهُ مقاومة الظلم بالظلم والقوة بالقوة . وبعد حديث طويل على هذا الاسلوب طلب مني ان امشي معهُ فالتقينا بابنتهِ الكبرى راجعة من مساعدة بنات الفلاحين وهي لابسة مثلهنَّ ثوبًا احمر مفتوح الصدر وشعرها مضفور جدائل على ظهرها وفي عنقها سموط من الخرز الملون فلم اعرفها لو لم ينادِها ابوها باسمها . وظهر لي انها من رأيهِ في

وجوب مشاركة الفلاحين في اعمالهم مساعدةً لهم . وهو نفسهُ قضى الصباح في تفريق السماد في اطيان امرأة مسكينة وكان عازماً ان يعود الى تفريقهِ بعد الظهر لو لم اشغلهُ عنهُ . وقد قال لي في هذا الصدد انهُ يجب على كل انسان ان يساعد الفقراء الذين يحتاجون الى مساعدتهِ بالعمل بيديهِ في ما يعملون بهِ ولو ساعةً كل يوم فان ذلك انفع لهم مما لو بقي مقتصرًا على عملهِ وساعدهم بجانب من دخلهِ لانك اذا فعلتَ الامر الاول تكون قد ساعدت من يحتاج الى المساعدة وعلّمتهُ الاجتهاد والابتعاد عن الكسل واريتهُ ان العمل شريف لذاتهِ لا تأنف منهُ على علوّ منزلتك فيصير يكرم نفسهُ ويفتخر بالعمل ويقنع بما قسم لهُ واما اذا اقتصرت على اعمالك العقلية واعطيت الفقير جانباً من دخلك كما تتصدق على المساكين بالصدقات اغريتهُ بالكسل والاتكال على الغير وفصلتَ بينهُ وبينك بحاجز حصين وامتَّ الشهامة من نفسهِ واحييتَ بدلاً منها التذمُّر والشكوى من العمل والطموح الى التخلُّص من الحالة التي هو فيها والتطلُّع الى الحالة انت فيها ليلبس لباسك ويجلس في مجالسك . وما هذا بالسبيل لمساعدة الفقراء ونشر الاخاء في الدنيا

فقلت اذا سلَّمتُ معك ان مصلحة الانسان العظمى تقوم بان يفضل مصلحة غيرهِ على مصلحة نفسهِ وعائلتهِ فانت مصيب في كل ما قلتَ اي اني اذا سلمتُ بمقدماتك لم يبقَ لي سبيل للجدال معك في نتائجك . والذي يدهشني من مذهبك انهُ ليس مما يمكن العمل بهِ لان من يسعى لغيرهِ في احوال الناس الحاضرة يضحي مصلحتهُ ومصلحة عائلتهِ لانهُ لا يجد احداً آخر يفعل فعلهُ لكي يتبادل النفع

فقال على مَ لا تسلم بمقدماتي فانهُ اذا فعل كل احد الخير مع غيرهِ بدلاً من الشر صار الناس اصلح كثيرًا مما هم الآن . أوَ لا يجب على كل احد ان يصلح حال المجتمع الانساني حتى يصير كل واحد منهُ يفعل الخير بدلاً من الشر فان كنتُ اهتمُّ واسعى لايجاد هذه الحالة الفاضلة التي تنفى بها الشرور من الدنيا فعلى مَ تقول ان سعيي وآمالي مما لا يمكن العمل بهِ . واذا اريد الوصول الى تلك الغاية فلا بدَّ من ان يشرع احد ما في السير اليها ويثبت امكانها وان كانت احوال المجتمع الانساني الحاضرة تجعل هذا السعي صعباً فذلك لا يرفع المسؤولية عني ولا يمنعني من السعي لان بحثنا ليس عمّا هو الاسهل بل عمّا هو الواجب . وليس في حال المجتمع الانساني الحاضر ما يمتنع تغييرهُ بل هو نتيجة افعال الانسان وبافعال الانسان يُغير ولا بدَّ من تغييرهِ وانا باذل اقصى جهدي في هذا السبيل

ثم قصَّ عليَّ كيف تغيَّرت آراؤهُ في تعاليم المسيح وكيف وجد فيها مفتاحاً لحل اعوص

المسائل الاجتماعية وبنى عليها مذهبهُ في ان الشر يجب ان لا يقاوم بالشر وعداءهُ لمحاكم القضاء وامتياز الناس في المراتب واختصاصهم بالاملاك وكل الشرور المدنية . وقد يُظنّ من كثرة ما يستشهد بالانجيل انهُ من المسيحيين المتدينين ولكن تعاليمهُ تدلُّ على انهُ بعيد عن ذلك بعداً شاسعاً فهو منكر للفداء والثالوث والوهية المسيح ضعيف الاعتقاد بخلود النفس . وديانتهُ عالمية مبنية على المصلحة العالمية فاذا اشار الى المسيح وتعاليمهِ لم يشر اليهِ كاله بل كانسان علَّم تعليماً فلسفياً يراهُ اصلح كل تعليم لنوع الانسان وهو من هذا القبيل كوحيٍ الهي ولا بدَّ من العمل بهِ حرفياً من غير تفسير ولا تاويل وقد قال المسيح لا تقاوموا الشر فيجب ان لا نقاوم الشر مطلقاً من غير قيد

وجلنا في اراضيهِ غير قاصدين مكاناً معيناً ونحن نتباحث ونتجادل ولم يبقَ في ذهني صورة شيءٍ مما وقع نظري عليهِ لاني كنت مشغولاً عن ذلك كلهِ بما اسمعهُ منهُ وما اراهُ في وجههِ من الامارات والمعاني الدالة على صدق نيتهِ وخلوص طويتهِ

وفي اخريات النهار امطرت السماء قليلاً فاضطررنا ان نعود الى البيت ودعاني الى مكتبتهِ وهي غرفة صغيرة ساذجة لا شيءَ فيها سوى سرير ضيق من الحديد وكرسي من الخشب المدهون وطاولة عليها غطاءٌ اخضر قديم وحول جدران الغرفة رفوف الكتب وهي كثيرة واكثرها غير مجلَّد وفوق الطاولة صورة رجل روسي من مشاهير الخارجين على الحكومة الروسية . وقال لي تأتيني مكاتيب كثيرة من اميركا من الذين قرأوا كتبي . وفتح درجاً وقال هاك مكتوباً منها فقرأتهُ واذا هو من رجل في حراج بنسلفانيا كتب اليهِ يقول انهُ هو وكثيرون من اتباعهِ جروا من عهد طويل على الخطة التي ابانها في كتابهِ المعنون " دیانتي " وانهم انشأوا كنيسة خاصَّة بهم وبهذا التعليم . ثم قال لي ما رايك في كاتب هذا المكتوب ألا ترى انهُ لم يفهم مرادي لانهُ يظن ان الديانة تستلزم وجود كنيسة وقد كتبت اليهِ ان حسن السلوك لا يقتضي ذلك

ودخل حينئذٍ شاب بثياب الفلاحين آتياً بما للكونت تولستوي في البريد من الكتب والرسائل فظننتهُ خادماً من خدمهِ ولم انهض لهُ لكن الكونت عرَّفني بهِ قائلاً انهُ فلان فاذا هو احد تلامذتهِ المشاركين لهُ في آرائهِ واعمالهِ وهو شاب متعلم متهذب درس في احدى المدارس الروسية الجامعة ثم تتلمذ لتولستوي واتبع مذهبهُ حرفياً فليس لهُ بيت ولا عقار آخر . يعمل للغير من غير اجرة ولا يتناول الاَّ طعامهُ ولباسهُ لا على سبيل الاجرة بل على سبيل الاشتراك حاسباً ان من عندهُ طعام يجب عليهِ ان يشرك الجياع فيهِ ومن عندهُ اكسية

يجب عليهِ ان يكسي العراة بها . واذا خيم الليل نام حيث يجد لهُ مأْوًى . فهو عائش لاجل الجماعة و يعتقد ان الجماعة مضطرة ان تقدم لهُ ما يحتاج اليهِ من طعام وشراب وكساءٍ واواءٍ. ولا يدفع مالاً للحكومة ولو قبضت عليهِ وعاقبتهُ لانهُ لا يريد ان يساعدها على ما يعتقد انهُ شرٌّ وظلم

وكان بين ما جاءَ بهِ هذا الشاب نسخة انكليزية من ترجمة كتاب تولستوي المعنون "ديانتي" وهي اول مرة رآهُ فيها مترجماً الى الانكليزية وقد ترجم اليها عن الترجمة الفرنسوية فاتى باصلهِ الروسي ولم يزل خطأً وطلب مني ان اساعدهُ على مقابلة الترجمة بالاصل فقابلنا ثلاث صفحات او اربعاً ثم قال ان الترجمة حسنة وقد حافظ المترجم على المعنى

ودار الحديث على رواياتهِ المترجمة فاخبرني ان بيت طباعة اميركي عرض عليهِ جانباً من المال عن كل نسخة يبيعها من رواياتهِ اذا سمح لهُ ان يقول انها الطبعة الوحيدة التي يكفل مؤَلفها صحتها فاجابهُ رافضاً ذلك وقال انهُ لا يريد ان يكتسب شيئاً من رواياتهِ التي تطبع في بلاد اجنبية . وتكلم عن هذه الروايات بالاستخفاف حاسباً ان ما بذل في تأليفها من العناء وضعهُ في غير موضعهِ مضطرًّا لا مختارًا لان نشر آرائهِ الدينية ممنوع في بلاد الروس

فقلت لهُ اني رأَيت كثيرًا من مؤَلفاتهِ الحديثة منسوخاً نسخاً او مطبوعاً طبع حجر ومنشورًا في بلاد الروس فقال نعم لان الحكومة منعتني من طبعها ولكنها لا تستطيع ان تمنع انتشارها. واحياناً تمنعني من نشر آرائي في صورة ولا تمنعني من نشرها في صورة أُخرى . فالآراءُ التي في كتابي "ايفان الاحمق" منعتني من نشرها كما هي فافرغتها في قالب رواية فاذن الرقيب بطبعها من غير اعتراض . ومنعت من طبع كتابي "الاعتراف" لكنَّ خدمة الدين نشروهُ في مجلتهم وردُّوا عليهِ وقد بلغني ان الجمهور يطالع هذه المجلة ويسرق منها الاوراق التي ذُكرت فيها آرائي

ودعينا الى العشاء حينئذٍ ولبس النساءُ ثياب العشاء على جاري العادة واما الكونت فبقي بثيابهِ وبقيت انا بثيابي . وكان العشاءُ بسيطاً خالياً من كل ترف والحديث كثير الفكاهة وكان الكونت اكثرنا هزلاً وضحكاً . وظهر لي انهُ يحب اولادهُ ويحبونهُ حبًّا شديدًا . وافترقنا بعد العشاء وجلس الشاب الذي اتى بالبريد والسيدتان اللتان كانتا هنا منذ الغداء وجعلوا يتذاكرون ويتجادلون وهم يقرأُون كتاباً غير مطبوع من مؤَلفات الكونت الحديثة . ثم دعتني الكونتس لشرب الشاي في غرفتها الخاصة باستقبال ضيوفها وتبعنا الكونت الى هناك ومعهُ ادوات السكافة وحذاءٌ كان يصنع لهُ كعباً وظهر لي انهُ من الماهرين في صناعة السكافة

وانهُ يعمل بها في ساعات الفراغ ويعظم شأْنها ويعتني بعمل حذاءٍ اكثر مما يفتخر بتصنيف رواية وهو في غنى عن التأليف والتصنيف وعن كل صناعة لان املاكهُ تساوي ستمئة الف روبل او نحو مئة الف جنيه. وجعل يشرح لنا عمل الاحذية شرح عالم ماهر فقلت لهُ في آخر الامر اني افضل ان اقرأَ رواية من تأليفهِ على ان احتذي حذاءً من عملهِ

ثم جرَّنا الحديث الى حكومة الولايات المتحدة الاجرائية فقال انها اخطأَت في اضطهاد الصينيين والمورمون وخالفت مبادئها وتقاليدها . فسأَلتهُ عما اذا كان يعلم ما هو عذرنا في ذلك فقال قد لا اعلم فجعلت ابسط لهُ آراء الذين حملوا الحكومة على منع الصينيين من دخول بلادنا وابنت مقدار الضرر الذي نال بعض الجهات من نزولهم فيها وترخيص أُجرة عمالها . فقال وهل هذه كل شكواكم منهم فقلت نعم اوَلا تكفي هب ان الصينيين هاجروا الى كليفورنيا مئة الف نفس كل سنة فانهم يلاشون عمراننا في تلك الجهات

فقال ولماذا لا يكون للصينيين حق في نزول كليفورنيا مثلكم . فقلت أَلا يباح لنا ان نتخلص من اعتداء الغرباء علينا في مواطننا . فقال ولماذا تحسبهم غرباء ولماذا تضع هذا الفرق بينكم وبين غيركم اليس الناس كلهم اخوة سواءٌ كانوا روسيين او مكسيكيين او اميركيين او صينيين

فقلت لهُ ولكن هب ان الصينيين كثروا كثرة فاحشة حتى اضطررنا ان نصير لهم عبيدًا فهل تجيز ذلك . فقال وما ضركم ما دام الغرض من الحياة ان يعمل كل احد لغيرهِ سواءٌ كان عبدًا او حرًّا . ولما سمعت منهُ ذلك غيرت الموضوع لاني رأَيت من العبث مجادلتهُ فيهِ

ثم دار البحث على الحكومة الملكية وعلى العقاب بنوع عام والعقاب بالقتل بنوع خاص فرأَيتهُ مضادًّا لهُ كما انتظرت . وقال في عرض الحديث انهُ لما قُتل القيصر اسكندر الثاني وحُكِم على القتلة كتب الى ابنهِ القيصر اسكندر الثالث يبين لهُ وخامة قتل الناس صبرًا وتوسل اليهِ ان لا يجعل فاتحة ملكهِ القتل وارسل كتابهُ الى رئيس المجمع المقدس الذي كان معلمًا للقيصر اسكندر الثالث لانهُ ظن ان كلمتهُ مسموعة عند القيصر فاجابهُ هذا الرئيس انهُ موافق على قتل القتلة ولا يرى وجهًا للعفو عنهم ولا لعرض كتاب تولستوي على القيصر وختم كتابهُ بقولهِ "ان ديانتك ديانة الضعف والحنان وديانتنا ديانة السلطة والقوة"

وبقي الكاتب الى الساعة الحادية عشرة ليلاً ثم ودع الكونت واهل بيتهِ وعاد من حيث اتى . ولم يقتصر على ما اوردهُ من وصف هذه الزيارة بل عقَّب عليها بكلام حشوهُ الحكمة والبلاغة . قال وقد سأَلني كثيرون في بطرس برج وموسكو عما اذا كنت احسب الكونت

مخلصاً في دعواهُ لان البعض يظنون انهُ يلعب بعقول الناس لعباً فينهى عن اقتناء الاملاك ولهُ املاك واسعة لا يبيعها ولا يعطيها لاحد . وينهى عن الاهتمام بالاكتساب وهو يكسب المبالغ الطائلة من بيع كتبهِ

ولعلَّ سبب ذلك ان عائلة الكونت زوجتهُ واولادهُ لا يوافقونهُ على آرائهِ فرأَى انهُ اذا اراد ان يعمل على مقتضى مذهبهِ اوقع الشقاق والخصام في بيتهِ فاختار اخف البليتين . وقد اشار الى هذا الموضوع في فقرة نشرها حديثاً قال فيها

يقولون لي انكَ تعظ الناس ولا تفعل بما تعظ وهم مصيبون في ما يقولون واراني امامهم صامتاً لا احير جواباً . يقولون انك تعظ الناس ولكن لا تفعل حسبما تعظ نعم هم مصيبون وكان الواجب عليَّ ان اعظ الناس بافعالي قبل اقوالي . وَيحي فاني مخطئ ملوم مستحق للازدراء والاحتقار لكني اقول لا تبرئة لنفسي بل ايضاحاً لواقعة الحال انكم لو قابلتم حاضري بماضيَّ لوجدتم اني باذل جهدي للعمل بما اعظ بهِ ولم اتمم حتى الآن جزءًا من ثمانين الف جزءٍ مماً يجب عليَّ اتمامهُ لا لاني لا ارغب في اتمامهِ بل لاني لا استطيع اتمامهُ . علموني كيف التخلص من العراقيل التي انا فيها ساعدوني على اتمامها فاتمها . اللوم عليَّ لا على الآراءِ التي انادي بها . اذا كنتُ اعرف طريق بيتي واسير فيهِ سكران مترنحاً فاعتسف على غير هدًى لا يؤْخذ ذلك دليلاً على ان الطريق لا يوصل الى البيت ولا على اني لا اعرفهُ وان كان هذا ليس طريق بيتي فاروني طريقاً غيرهُ ولا تقولوا اني مخطئ بل تعالوا وساعدوني لكي لا اضلَّ ولا تحاولوا ان تزيدوا ضلالي بالنداء والصخب . يكاد قلبي ينصدع لاننا كلنا قد ضللنا وانا احاول بكل جهدي ان اعود الى الطريق السوى وانتم لا ترثون لي بل تعيرونني وتشمتون بي

هذا اعتراف رجل يسعى الى الخير فلا يستطيع ان يتغلّب على ما فيهِ من الشر ويحاول النجاة من العراقيل التي ولد فيها فيجد دون النجاة منها خرط القتاد . وهذا رأي الكاتب فيهِ فقد قال انهُ لم يرَ اعترافاً اصرح من هذا الاعتراف ولا ابسط منهُ ولا اكثر اخلاصاً كما انهُ لم يقرإِ اعترافاً ابلغ منهُ ولا اشدَّ تأثيراً في النفوس

هذا وسنذكر في الجزءِ التالي اقوال غيرهِ من مشاهير الكتَّاب الذين شاهدوا تولستوي وذاكروهُ وبنوا احكامهم على ما سمعوهُ منهُ وما قرأُوهُ في كتبهِ . ونشفع ذلك بترجمة بعض الاقوال التي قالها ولا سيما في ما يتعلق بحرمهِ الاخير

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صبغ الشعر

صبغة الرصاص

تصنع صبغة الرصاص من اربعين قمحة من سكر الرصاص (خلات الرصاص) و ١٦ درهماً من الماء يدهن بها الشعر جيداً وحينما يكاد ينشف يدهن بمذوب كبريتيد الامونيوم فاذا كان هذا المذوب مخففاً كثيراً صار لون الشعر بهِ اسود . وتمتاز هذهِ الصبغة على الصبغات السابقة بانها لا تسود الجلد

صبغة الزيبق

تصنع هذهِ الصبغة من ١٢ قمحة من السليماني و ٣٢ قمحة من الماء يدهن بها الشعر بفرشاة وحينما ينشف يدهن بمذوب ثمانية دراهم هيدروكبريتيت الصودا في ١٦ درهماً من الماء بفرشاة اخرى و يحسن ان يدهن الشعر بالمذوب الاول في المساء و بالمذوَّب الثاني في الصباح يوماً بعد يوم على ايام ثم يدهن مرة او مرتين كل اسبوع حتى يصير لونهُ على ما يرام

ولا يخفى ان السليماني سام جداً فيجب ان يكتب على قنينتهِ انهُ سام وان لا يدهن بهِ الرأس اذا كان فيهِ جرح او سحج

ولا بدَّ من تنظيف الشعر جيداً قبلما يدهن بالصبغة السابقة او غيرها من صبغات الشعر وتنظيفهُ اما بغسلهِ بالماء والصابون او بماء كولونيا والروم ثم ينشف جيداً . و يدهن بزيت من الزيوت بعد صبغهِ لكي يعود اليهِ لمعانهُ ولكي لا يزيد جفافهُ

واذا كان الشيب قليلاً يحسن صبغ الشعر بالصبغة التالية وهي اربعة دراهم من خلاَّت الرصاص ودرهم من زهر الكبريت و ٣٢ درهماً من الماء يذاب خلاَّت الرصاص في الماء و يمزج بهِ زهر الكبريت و يهز جيداً و يدهن بهِ الشعر في المساء والصباح على مدة اسبوع ثم تقلل الدهنات بالتدريج حتى تصير مرة كل اسبوع او مرة كل اسبوعين

وهذه الصبغة بطيئة وهي تستعمل للشعر الاشقر ولا سيما اذا كان الشائب فيهِ قليلاً واذا

رسب منها شيء على الجلد امكن نزعهُ بسهولة بعد جفافهِ . وفعلها بالشعر الاشقر احسن من فعلها بالشعر الاسود ولا سيما اذا كان الشعر ضاربًا الي الحمرة

وهاك صبغة أُخرى للشعر الاشقر يمكن ان يزيد لونها دكنةً وهي تصنع من ١٦ قمحة من كبريتات النحاس (الشب الازرق) و ٣٢ درهمًا من الماء المقطر يدهن بها الشعر جيدًا ويترك حتى يجف او يكاد يجف ثم يدهن بمذوب ١٦ قمحة من فروسيانيد البوتاسيوم في ٣٢ درهمًا من الماء المقطر . وهو يدهن بهذا المذوب باسفنجة او فرشاة

ولا يخفى ان فروسيانيد البوتاسيوم سام شديد الفعل جدًّا اذا شرب احد منهُ ولو قليلاً قتلهُ ولكن فعلهُ بالشعر حسن فانهُ يصبغهُ ويقويهِ

صبغة اخرى للشعر الاشقر المسود وقد تجعل الشعر اسود اذا تكررت . وهي درهم من نيترات الفضة النشادري يذاب في ٣٢ درهمًا من الماء المقطر ولا بدَّ من الحذر لئلا تمس الجلد لانها تسودهُ ايضًا . ومتى دهن الشعر بها وجفَّ يدهن ايضًا بمذوب درهمين من الحامض البيروغاليك في ٣٢ درهماً من الماء المقطر . يدهن الشعر بهِ باسفنجة

وكذلك اذا اذيب عشرون او ثلاثون درهماً من برمنغنات البوتاس في ثمانية دراهم من الماء المقطر ودهن بهِ الشعر الاشقر الشائب رد اليهِ لونهُ من غير ان يضرَّ بهِ . ويمكن ان يجعل لون هذه الصبغة فاتحًا جدًّا او اسود يدهن الشعر بها ثم بمذوب الحامض البيروغاليك دواليك

فطام الاطفال

لا يمكن تحديد وقت الفطام تمامًا . ولا تحديد وقت يصلح لكل الاطفال في كل الاحوال. وكثيرات من النساء يضررن انفسهنَّ واطفالهنَّ بارضاع اطفالهنَّ زمنًا اطول مما يلزم لهنَّ . والقاعدة المتبعة عمومًا هي انهُ اذا كانت ام الطفل حسنة الصحة وكان لبنها كافيًا وجب ان تفطم ابنها بين الشهر التاسع والثاني عشر . واذا ظهرت اسنانهُ فذلك دليل مع انهُ قد حان الوقت لفطامهِ . ولكن اذا صار لبن الام ضعيفًا في نوعهِ او قليلاً في كميتهِ حتى لا يكفي لتغذيتهِ فالاحسن ان يفطم ولو كان صغيرًا

ويجب على أُم الطفل ان تقلل من ارضاع طفلها قبلما تفطمهُ بشهر من الزمان وتسقيهُ بدل لبنها قليلاً من لبن البقر الجيد بعد تسخينهِ ومزجهِ بالماء النقي الحار وتحليتهِ بقليل من السكر وليكن ذلك مرتين في اليوم ولا يكون اللبن حينما يسقاهُ الطفل احرَّ من دم الانسان

واللبن الغذاء الطبيعي للطفل واذا نفد لبن امهِ فلا بدَّ من الاستعاضة عنهُ بلبن البقر

ولكن لبن البقر يعرِّض الطفل للاسقام على وجهين الاول ان تكون البقرة مريضة بالتدرُّن او نحوهِ فتنتقل العدوى الى الطفل باللبن فلا بدَّ اذًا من ان تكون سليمة من كل آفة. والثاني ان الهواء الذي يلامس اللبن المكشوف لا يخلو من انواع مختلفة من الجراثيم الحية فتنمو فيهِ وتتكاثر وقد يكون بعضها سمًّا مميتًا ولذلك لا يندر ان يصاب الاطفال الذين يشربون اللبن صيفًا بالامراض المعديَّة والمعويَّة ويوقى الطفل من ذلك بتسخين اللبن حتى تموت الجراثيم التي تكون قد وقعت فيهِ. ولا بدَّ من تسخينهِ في قناني مسدودة ثم تبرَّد قليلاً ويصب في رضاعة نظيفة يرضعهُ الطفل منها او يسقاهُ سقيًا بملعقة نظيفة. ويحسن ان يطبخ لهُ بهِ قليل من الارز او التبيوكا او الخبز. ويزاد لهُ الطعام رويدًا رويدًا ويقلل الرضاع حتى ينقطع فلا يستفقدهُ الطفل ابدًا او يستفقدهُ قليلاً. وحينما يفطم تمامًا يجعل طعامهُ من اللبن والخبز في الصباح ومطبوخًا من اللبن والخبز او اللبن والارز الظهر والعصر ويحسن ان يطعم قليلاً من مرَق اللحم اذا لم يكفهِ اللبن والخبز والارز. ولا بدَّ من تعيين الاوقات التي يطعم فيها الفطيم فيعتادها ولا يعود يطلب الطعام الاَّ فيها وتكون الفسحات بينها اربع ساعات اربع ساعات فيطعم اربع مرات فقط في اليوم الى ان يصير عمرهُ سنتين. وما تجري عليهِ بعض الامهات من اطعام اطفالهنَّ الكعك والاثمار النهار كلهُ حتى لا ترى الطفل الاَّ وفي يدهِ شيءٌ يأكل منهُ فعادة مضرَّة جدًّا. ولا يسقى الطفل غير الماء القراح لا خمرًا ولا شايًا ولا قهوة ولا بيرة ولا شيئًا من الاشربة

المرأَة ونفقات البيت

اخبرتنا سيدة ايطالية الاصل من اللواتي كنَّ يترددنَ على بيوت الامراء في عهد اسمعيل باشا ان نساء الامراء في ذلك العهد كنَّ ينفقنَ بغير حساب حسب مفهوم هذه الكلمة تمامًا فكان عند الواحدة منهنَّ صندوق او درج يملأُ لها بالجنيهات فتخرج منهُ وتدفع للطالب قدر ما تتناول يدها وكلَّما فرغ مُلِئَ لها. او كانت تبتاع ما تشاءُ ولا تساوم في ثمنهِ بل تترك البائع يكتب ثمنهُ كما يشاءُ ويتقاضاهُ من الدائرة. وبذلك اغتنى كثيرون وافتقرت الدوائر لكي يجري في هذا القطر ناموس توزيع الاموال ويفتقر المبذّر ويغتني المدبر

والذين يهتمون بتدبير المنزل يرون ان اساسهُ واول شيءٍ يعتمد عليهِ معرفة قيمة النقود فان الانسان لا يلتفت الى قيمة النقود بالفطرة لان معاملاتهِ في العصور الغابرة لم تكن بالنقود بل بالمقايضة والمبادلة. ويستحيل على المرأَة ان تدبر بيتها حسنًا ما لم تهتم بنفقاتهِ ولا تستطيع

ان تهتم بها حسناً ما لم تعرف اولاً قيمة النقود ونسبة بعضها الى بعض ونسبتها الى ما يشترى بها فتعرف مثلاً ان الريال يشتري كذا ارغفة من الخبز وكذا ارطالاً من اللحم وكذا اذرعاً من التيل وهذه المعرفة لا تأتي عفوًا بل لا بدَّ من تعلمها بالممارسة ولكن يمكن اتقانها في اسبوع او شهر من الزمان

ويتلو ذلك في الاهمية تقسيم النفقات فان دخل الانسان محدود ويجب ان تكون نفقتهُ اقل من دخلهِ . والمعيشة رخيصة وغالية فتستطيع العائلة التي فيها رجل وامرأة وثلاثة اولاد او تعيش جيداً فتأكل ما يغذيها وتلبس ما يدفئها ولا تنفق اكثر من خمسة غروش في اليوم في هذه العاصمة التي هي من اغلى المدن وتستطيع ايضاً ان تنفق خمسة جنيهات في اليوم وترى انها غير مستوفية شروط الراحة والرفاهة التي تتوخاها

والمرأة التي يراد ان تكون مثالاً لما يبلغهُ النساء في القرن العشرين هي التي تعمل ميزانية بيتها كما تعمل نظارة المالية ميزانية الحكومة فترى اولاً موارد الدخل وتقدّرها بما يمكن من الدقة فان كان زوجها من الموظفين فمعرفة الدخل سهلة من هذا القبيل وان كان صاحب عقارات فلا يتعذَّر تقدير ايجارها ولو بالتقريب وان كان صاحب تجارة فتقدير دخلهِ صعب ويجب ان تعتمد على دخل اقل السنين ربحاً وتجعلهُ قاعدةً للايراد . ولنفرض ان المرأة بحثت هي وزوجها فوجدا ان دخلهُ في السنة لا يقل عن مئتين واربعين جنيهاً ولا يزيد على ثلاثمئة او لا يقل عن الفين واربع مئة جنيه ولا يزيد على ثلاثة آلاف فيجب عليها ان تختار التعديل الاقل مئتين واربعين جنيهاً في الحالة الاولى والفين واربع مئة جنيه في الحالة الثانية او عشرين جنيهاً في الشهر في الحالة الاولى ومئتي جنيه في الحالة الثانية وتقسم الدخل الشهري هكذا

	في الحالة الاولى	في الحالة الثانية
للطعام	٧ جنيهات	٤٠ جنيهاً
للبس	٢ "	٣٠ "
للسكن	٣ "	٣٠ "
للتعليم والتهذيب	٤ "	٣٠ "
للظهور	٢ "	٤٠ "
والجملة	١٨	١٧٠ "

ويدخل في باب الطعام كل ما يؤكل في البيت يومياً وما يُشرَب فيهِ من ماء وقهوة وما يستعمل من تبغ ومربيات واجرة الخدَم وامتعة الطبخ

وفي باب اللبس ثمن الثياب والحلى والاحذية

وفي باب السكن اجرة البيت وما يدفع لسوكرتاه الامتعة

وفي باب التعليم والتهذيب ما يلزم لتعليم الاولاد واشتراء الكتب واشتراك الجرائد وما يدفع لاماكن العبادة وشركة سوكرتاه الحياة

وفي باب الظهور ما يلزم تجديدهُ من اثاث البيت وما ينفق على مركبات النزهة والدخول الى الملاهي والاسفار

ويظهر من ذلك ان في الحالة الاولى اي حينما يكون الدخل الشهري من ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً تكون نفقات الاكل ٣٥ في المئة من الدخل . واللبس عشرة في المئة والسكن ١٥ في المئة والتعليم والتهذيب ٢٠ في المئة والظهور بين الناس عشرة في المئة . واما في الحالة الثانية فنفقات الطعام تقل نسبةً الى الدخل وتصير عشرين في المئة بعد ان كانت ٣٥ في الحالة الاولى وتزيد نفقات اللبس والزينة فتصير ١٥ في المئة ونفقات الظهور بين الناس فتصير ٢٠ في المئة بعد ان كانت في الحالة الاولى عشرة في المئة

ولا يخفى ان ما تنفقهُ العائلة الاولى وهو ١٨ جنيهاً في الشهر يكفي العائلة الثانية من حيث المعيشة البدنية والعقلية والادبية وقد تكون صحتها اجود وعقولها اسلم وآدابها اصح اذا اقتصرت عليهِ مما لو انفقت عشرة اضعافهِ ولكنها اذا فعلت ذلك وخزنت المال سنة بعد سنة ولم تنفقهُ اجتمع مال الارض عند اناس قلائل وتوقفت حركة الاعمال وضاقت موارد الكسب وهذا ضرر عام . وهي تستطيع ان تنفق عشرة اضعافهِ وتبقى في سعة لانهُ يتوفَّر لها كل سنة ٣٦٠ جنيهاً على الاقل

اذا تدبرت ربة البيت ذلك وكانت على ثقة من موارد الدخل وكميتهِ امكنها ان توزع النفقات على صورة معقولة يسهل العمل بها وتجتهد حتى اذا جاء آخر الشهر تكون قد اقتصدت في نفقاتها عشرة في المئة او اكثر تبقيها للعوارض التي تقع بالانسان من وقت آخر كالمرض والافات والاضطرار الى السفر وما اشبه فانها اذا فعلت ذلك يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وجاء آخر السنة فرأت في يدها مبلغاً من المال مقتصداً مما كانت تقصد انفاقهُ شعرت بقوة جديدة في يدها ومقدرة على ادارة بيتها . واما اذا لم تتدبر نفقاتها فانفقت اكثر من دخل زوجها او اكثر مما عينت لنفقات بيتها شعرت في آخر السنة بكآبة تنغّص عيشها وتزيل منها كل البهجة التي قصدتها بزيادة النفقات فتقع في ضد ما توخَّتهُ

تعليم الاطفال وقواهم

من اهم واجبات المرأة تعليم اولادها في البيت وفي المدرسة . واذا التفتنا الى المدارس الابتدائية رأينا الاطفال جلوساً على مقاعدها فرقاً فرقاً تدرس كل فرقة كتاباً واحداً وتتمرَّن على اسلوب واحد ثم اذا راقبنا اولئك الاطفال في ميدان الحياة الى ان يصيروا رجالاً نرى بينهم فرقاً كبيراً جداً نرى بينهم العالم والجاهل والغني والفقير والمدبّر والمبذر والحذور والمقتحم وهؤلاء على درجات متفاوتة حتى قلما نجد بينهم اثنين متساويين في كل شيء. فاين كان هذا الاختلاف لما كانوا اطفالاً في المدرسة. كان كامناً في نفوسهم وظهر فيهم عند اول درس سمعوهُ وامتحنوا فيهِ. يعلم ذلك كل اب وكل ام وكل معلم وكل معلمة . يعلمون كلهم ان الاطفال يختلفون كما يختلف الرجال والنساء الذين يصيرون منهم فلماذا عُلّموا على اسلوب واحد تماماً . لماذا لم يُلتفَت الى هذا الاختلاف من سن الطفولية لماذا يحاول المرء ان يجري على ضد الطبع ويبذل القوة بعد القوة والعناء بعد العناء عبثاً وسدًى وعلى اسلوب لا ينتج منهُ الاَّ الضرر . ولماذا تترك قوًى اخرى من قوى الاطفال لو هُذّبت وربيت لجاءوا بها من نوابغ الرجال

واول ما يسأل عنهُ الوالدون ما هو السن الذي يصح ان نعلّم فيهِ اطفالنا فان الطفل اذا بلغ الرابعة من العمر اظهر القلق والضجر من الاقامة في البيت فتود امهُ ان تتخلص منهُ . لكن ارسالهُ الى المدرسة في هذا السن يضرُّهُ الاَّ اذا كانت المدرسة ممَّا يسمَّى ببستان الاطفال (كندرغارتن) فان المدارس التي من هذا النوع يتعلم فيها الاطفال باللعب حتى ينقضي النهار من غير ان يشعروا بالضجر والسآمة واذا بلغوا السابعة من العمر خرجوا متهذبي الاخلاق يعرفون مبادىء القراءة ويفهمون كثيراً ممَّا يقع نظرهم عليهِ ولا غرابة في ذلك فاننا نعرف اطفالاً ادركوا دوران الارض وان النجوم اجراماً كبيرة اكبر من الارض والشمس اكبر من الارض كثيراً ادركوا ذلك وكانوا يذكرون بعض ادلتهِ وهم في السابعة من عمرهم ولم يدخلوا مدرسة وانما افهمهم والدوهم ذلك على اسلوب بسيط تدركهُ عقولهم

ومتى بلغ الولد السنة السابعة او الثامنة من عمرهِ يحسن ارسالهُ الى مدرسة ابتدائية

واختيار المدرسة امر غير سهل ولا بدَّ من النظر فيهِ الى امور شتّى كالبعد والقرب والغلاء والرخص ونوع التلامذة الذين يترددون على المدرسة . وتفضَّل المدرسة التي تختلف درجات التلامذة فيها ولا يميز معلموهم بينهم من حيث مقام والديهم فاذا كان الولد فقيراً ورأى انهُ يعامَل مثل الولد الغني كبرت نفسهُ وزاد همة ونشاطاً واذا كان غنيًّا مفتخراً ورأى ان غنى ابيهِ لا يميزهُ على غيره وانما يميزهُ اجتهادهُ بعُد عن الخيلاء واعتمد على نفسهِ . ولذلك يقال ان

المدارس الاميرية افضل من المدارس الخصوصية من هذا القبيل لان معلمي المدارس الاميرية لا يراعون اباء التلامذة كما يراعيهم تلامذة المدارس الخصوصية

واهم ما في المدرسة المعلم او المعلمة . ويجب ان نقول المعلمة فقط لان تعليم الاطفال حتى يبلغوا السنة الثانية عشرة يجب ان يكون على يد معلمة حكيمة تعرف كيف تعلم وكيف تربي تعرف ان تكتشف قوى الولد العقلية والادبية وتتعهدها بالارشاد كانها نبات صغير يتعهَّد بالسقي والعزق وهذا مما يتعذَّر الحصول عليهِ في القطر المصري الآن لان ليس فيهِ من المعلمات ما يكفي مدارس البنات ولا بدَّ من الانتظار سنين كثيرة حتى يكثر عدد المعلمات ومن إبطال بعض العادات الشرقية التي تمنع البنات من تعاطي الاعمال

تمليح اللحم

يمكن حفظ اللحم مملَّحاً على هذه الصورة : امزج جزءا من ملح البارود باثنين وثلاثين جزءا من ملح الطعام وجزئين من السكر ومرّغ اللحم بهِ حتى يتغطَّى كل سطحهِ بهِ ثم لفهُ بخرقة نظيفة وضعهُ في اناءٍ وغطّهِ وقلّبهُ فيهِ مراراً كل يوم على ثمانية ايام فيحفظ مثل اجود انواع اللحم المملّح

باب الصناعة

اللحام للاليومنوم

كثر استعمال آنية الاليومنوم في هذه الايام ولا يبعد ان نراها تنوب مناب الآنية النحاسيَّة بعد زمن غير بعيد لما يُقتصد باستعمالها من الوقود . واذا تشققت واريد لحمها او اذا أُريد لحم بعضها ببعض يصنع لها لحام مركَّب من ٥٠ جزءا من الكدميوم و ٢٠ جزءا من الزنك و ٣٠ جزءا من القصدير. او يصنع من ٤٥ جزءا من القصدير و ١٠ اجزاء من الاليومنوم

حفظ الدم

صب دم الحيوان حين ذبحهِ في اناءٍ وامزجه' بقليل من الجير (الكلس) الناعم الذي لم يطفأ فيمتص الماء منهُ ويرسب في قاع الاناء ويشتد قوام الدم فوقهُ فيصير كالهلام ويسهل فصله' عن الجير وتجفيفهُ وحفظهُ الى حين الاستعمال وهو غذاءٌ جيد للذين يستحلُّون اكله'

اركان الصناعة

للصناعة ركنان عظيمان القوة والمواد الاصلية التي تُصنَع المصنوعات منها . ولا تتاصل الصناعة في بلادٍ ما لم تكن مصادر القوة رخيصة فيها والمواد الطبيعية موجودة فيها او يسهل نقلها اليها. والقوة المعوَّل عليها حتى الآن هي قوة الفحم الحجري الذي يُحرَق فيصيّر الماء بخاراً يدير الآلات . واسهل وسائل النقل واقلها نفقة السفن البحرية شراعية كانت او بخارية .وقد تقدَّمت الصناعة في انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا لانَّ فيها كلها كثيراً من الفحم الحجري ولان بعض المواد الاصلية كالخشب والحديد والكتان موجود فيها والبعض الآخر كالقطن والحرير والصمغ يسهل جلبهُ اليها ولولا ذلك ما تقدَّمت فيها صناعة كبيرة تقدُّماً يذكر

والظاهر ان وجود القوة اهم من وجود المواد الاصلية لان نقل المواد الاصلية الى البلاد التي فيها فحم ارخص من نقل الفحم اللازم لها الى البلاد التي هي فيها . هذان هما الركنان الاصليان ويتلوهما اركان اخرى قد لا تقلُّ عنهما اهمية وهي انتشار العلم في البلاد ولا سيما العلم العملي كالكيمياء الصناعية والهندسة الميكانيكية وما اشبه وكونها على بحار لها مرافئ بحرية تخرج منها تجاراتها. وامتلاكها كثيراً من السفن التجارية وكون دولتها قوية تحمي تجارة رعاياها وتحرز لهم الامتيازات في الممالك الاجنبية . هذه كلها اركان للصناعة لا تقوى بدونها

اذا فكَّر المرء في ذلك رأى مستقبل الصناعة مظلماً في القطر المصري فليس فيهِ اول اركانها وهو الفحم الحجري وليس فيهِ من المواد الاصليَّة غير القطن وزيتهِ والصودا ولا سفن تجارية فيهِ ولا تجارة واسعة ولا ينتظر ان تبقى اجرة العمال فيهِ رخيصة كما هي الآن ومع ذلك لا يمتنع نجاح صناعة القطن اذا لقيت من الحكومة تعضيداً بان عفتها من رسوم الجمرك وقد تنمو مع صناعة نسج القطن صناعة نسج الحرير فيصير في البلاد مورد كبير للارتزاق والاتجار لكن تبقى الزراعة اربح منهُ كثيراً

وليس الامر كذلك في بلاد الشام المتصلة بالقطر المصري فان الفحم الحجري كثير فيها وفيها قوة اخرى لا تنفد وهي القوة المائية تكاد تكون من غير ثمن وتستطيع ان تزيدها كثيراً ببناء السدود في بعض الاماكن المرتفعة فتخزن فيها من القوة ما تشاء . وهي على ساحل البحر ولها مرافئ كثيرة وفيها بعض المواد الاصلية كالحرير والزيت والخشب ويسهل جلب غيرها اليها ولا يعوزها الاَّ حكومة تنشط الصناعة وتعضد التعليم وتمنع الحيف عن الناس

الجير في البناء

اعتاد البناؤون في بلاد الشام ان يصوّلوا الجير (الكلس) قبل استعمالهِ وذلك بان يضعوهُ

في صندوق كبير مستطيل يسمونهُ مصْولاً لهُ فتحة في احد جوانبهِ الضيقة فيها خشبة تسدها بالزلق من الخارج ويصبون عليهِ ماء كثيرًا ويحركونهُ حتى يصير كاللبن ثم يرفعون الخشبة من امام الفتحة ويضعون داخلها بلاَّنةً او غصنًا صغيرًا متشعبًا فيخرج ماء الجير من المصول صافيًا ويصبُّ في حفرة كبيرة حتى اذا تمَّ تصويل الجير كلهِ تركوهُ في الحفرة فيشتد قوامهُ ويصير كالزبدة وهو اذا جُبل بالرمل كان منهُ طين او ملاط يقوم مقام الجبس والسمنت واذا مرَّت عليهِ السنون صلُب جدًّا حتى يتعذر فصل الحجارة المتصلة بهِ بعضها عن بعض واذا شيد بهِ جدار من الداخل او الخارج كان عليهِ صقيلاً كانهُ جبس واذا وُصِل بهِ الرخام لم تكد ترى محل الاتصال بين رخامة ورخامة

اما البناؤُون في مصر فيطفئون الجير بقليل من الماء ويجبلونهُ حالاً بالرمل والقصرمل ويبنون بهِ او يشيدون الجدران وبعد قليل تنفتح حبوب الجير وتتلف البياض او تبقى مجتمعة لينة في قلب الطين فتزيدهُ ضعفًا . وقد حثثنا البنائين على تصويل الجير كما يصوَّل في بلاد الشام فقالوا ان الجير المصري لا يصلح لذلك غير اننا رأينا بالامس رجلاً سوريًّا يصول الجير في بناء كبير قبل استعمالهِ واكَّد لنا انهُ وجد الجير المصري المصوَّل جيدًا مثل الجير الشامي المصوَّل لا فرق بينهما فعسى ان تُتبع طريقتهُ لان منها فائدة كبيرة واقتصادًا في النفقة اذ يستغنى بالجير حينئذٍ عن الجبس والمصيص (الجبسين)

اكبر القناطر

تبنى الآن قنطرة من الحجر في لكسمبرج فوق وادي البتروف ارتفاعها مئة قدم وقدمان واتساعها ٢٧٧ قدمًا ويقال انها اكبر القناطر المعروفة

المناظرة في الحديد

لما رأى الانكليز ان الاميركيين كادوا يحتكرون تجارة الحديد بالشركة الجديدة التي رأس مالها نحو خمسين مليون جنيه هبُّوا هبة واحدة وابتاعوا المناجم الوافرة الحديد في اسبانيا ونروج ووضعوا الآلات والادوات الجديدة في معاملهم حتى ان بيتًا واحدًا من بيوتهم وضع في معملهِ من الادوات الجديدة ما يساوي مليونين من الجنيهات فرخص ثمن الحديد بسبب ذلك وسيزيد رخصًا اذا بقيت المناظرة بين البلادين

ويبلغنا ان على شاطئ بلاد العرب مما يلي البحر الاحمر مناجم غنية بالحديد يكاد ترابها يكون من اكسيد الحديد الاحمر فلا يبعد ان تهتدي الشركات الانكليزية اليها وتستخرج الحديد منها

باب التقريظ والانتقاد

سياحة في غربي اوربا

لجناب نسيم بك خلاط

الرحلات من اقدم الوسائل لجمع المعارف لجأَ اليها المصريون واليونانيون من قديم عهدهم ولا يزال كتاب شيخ المؤَرخين هيرودوتس شاهدًا على انها اصح الوسائل لجمع اخبار الامم ووصف احوالهم ولا سيما اذا كان الرحَّالة دقيق النظر واسع الروية يقف عند تقرير الحقائق خالية من شوائب الاوهام والاضاليل لهُ عين نقَّادة لا تكتفي بوصف ما ترى بل تقابل بينهُ وبين غيرهِ وتقيس بعضهُ على بعض فتستخرج منهُ القواعد الكلية والاحكام العمومية

وكُتب الرحلات من افكه كتب المطالعة واكثرها فائدة . لم نكد نحسن القراءة العربية حتى وقعت في يدنا رحلة المرحوم سليم بسترس فقرأْناها مثنيً وثلاث ورباع قبل ان قرأْنا كتابًا آخر ولما رحلنا الى اوربا اول مرة ونشرنا رحلتنا فصولاً في المقتطف والمقطم طالَبَنا كثيرون بطبعها ونشرها على حدة لا لمزية فيها بل لما تجدهُ النفس من الفكاهة في كتب الرحلات

وقلَّما طاف كاتب في بلاد بعيدة عن بلادهِ الأَودَّ ان يصف ما رآهُ فيها لابناء وطنهِ ولذلك لم يكد الكتَّاب يكثرون في هذا القطر والقطر السوري ويكثر الراحلون منهما الى اوربا حتى توالت كتب الرحلات ومحور الاختلاف فيها اختلاف اصحابها في قوة الملاحظة والانتقاد والوجوه التي اتَّفق لهم ان نظروا منها . والرحلة التي امامنا الآن سفر جليل خطتهُ يراعة رجل حكيم واسع الاطلاع دقيق النظر عرف تواريخ الامم الحاضرة والغابرة ودرس طبائع الناس واساليب عمرانهم وميز بين النافع والضار منها . قام من طرابلس الشام مسقط رأْسهِ منذ سنة من الزمان فمرَّ على بيروت وبورت سعيد والاسكندرية ومرسيليا وليون ونزل في باريس مدة شاهد فيها معرضها ومعالمها الكثيرة . ثم مضى الى لندن وليڤربول ومنشستر وعاد بطريق سويسرا وايطاليا فوصف ما مرَّ بهِ من مدنهما ولا سيما مدينة ميلان ورومية وخرائب يومبي ووصل الى الاستانة فوصفها بما يحتملهُ المقام من الاسهاب وعاد الى طرابلس بطريق رودس وقبرص

وبعض الوصف مسهب جدًّا على ما يقتضيهِ المقام كوصف باريس ومعرضها ومعالمها فانهُ

استغرق نحو اربعين صفحة وبعضهُ موجز كوصف المدن الصغيرة في سويسرا وايطاليا وكلهُ لا يخلو من الفوائد التاريخية والانتقادات الاجتماعية . بدأ بمدينة بيروت فقال انها اخذت تتسع من حين وُضع المحجر الصحي فيها على عهد ابرهيم باشا المصري فاصبحت اسكلة سورية حينئذٍ وكان المراد ان يوضع في طرابلس الشام فابتهُ لجهلها منافعهُ . ووصف اهاليها الذين نزلوا اليها ممَّا يجاورها واستوطنوها بانهم "كانوا اولاً خليطاً من السكان لا جامعة بينهم غير اللغة ووحدة المقصد والمسعى وليس فيهم صفة القوم العريقين في العوائد والشؤُون بل يرى كأَن اخلاقهم وأزياءهم مستعارة ممّن خالطهم من الطوائف المختلفة التي حلَّت بين ظهرانيهم لكن لم يثبت هذا التقليد طويلاً بينهم بل تحوَّلوا عنهُ الى ما هو خير منهُ وابقى لجمعهم بين هيئة الغرب وجدهِ وسماحة الشرق وكرمهِ جمعاً قصَّرت عن مثلهِ كل مدن الشام" . وبعد ان اسهب في مدحهم على هذا الاسلوب استدرك قائلاً "لم يبقَ لرائيهم او للمؤَرخ ما يأْخذهُ عليهم سوى ان اغنياءهم لا يهتمون بانشاء الشركات التي قام عليها وحدها نجح الامم ولا يعنون بالمشروعات الآيلة لخير اوطانهم وخيرهم" . وحبذا لو ذكر السبب الاكبر الذي يمنع البيروتيين وغيرهم من انشاء الشركات والمشروعات العمومية فقد كنا نتذاكر في اواخر الصيف الماضي مع رجل من اكبر اغنياء بيروت ونذكر قصرهُ الجميل فيها فاكَّد لنا انهُ لن يعود اليهِ وانهُ يود ان يبيعهُ لكي لا يبقى لهُ عقار فيها وقد جعل وطنهُ القطر المصري لما يرى فيهِ من راحة البال وانتظام الاحوال

وانتقادهُ على الاوربيين شديد حيث يرى الى الانتقاد سبيلاً ومدحهُ لهم مبني على حقائق راهنة . قال عن الهيئة الاجتماعية في غربي اوربا ما نصهُ

"ان من اطلق النظر على حالة شعوب هاتيك الممالك قبل التمكن من الاحاطة بشؤُونها يظنها تحت سيادة نبلاء البلاد واغنيائها اذ يرى بوناً شاسعاً بين اهل هذه الطبقة وبين اصحاب الصناعة واهل الكد والجد فيها وهم العدد الاكبر وذلك في استئثار الاولين بالرئاسة على الاحكام الاَّ فيما ندر رغماً عن ان بلوغها مباح للاستحقاق والفضل . وفي عيشتهم المنعمة البالغة حد البذخ والاسراف وفي ترفعهم عن مخالطة من هو دونهم او من هو من غير مرتبتهم — حالات قط ما وصلت اليها نبلاءُ واغنياءُ الشرق ذلك ما ادى للزحام الشديد بين طبقاتهم على ما يوصل الى هذا المقام الممتاز فلهذا ترى بينهم المخاطرين بكلما تملك ايديهم من حطام الدنيا للحصول على غنىً اوفر والمجازفين بمبلغ ما اعطوا من الفهم والفصاحة لاهاجة الخواطر او لاقناع السامعين بانهم خير من يتولى الزعامة وزمام الاحكام

"ولا خفاء ان الحضارة والتمدن الشاملين الآن الممالك الاوربية قائمان على اسس العلم والعدل والثروة فالعلم مباح للجميع على السواء . والعدل منوط بفئةٍ من القضاة يحكمون بموجب شرائع سُنَّتْ على مقتضيات الزمان والشؤون . والثروة ملك مشاع ومحجب يتهافت عليهِ كل فردٍ فالبعض يصيب منهُ قسماً وافرًا والبعض قسماً يسيرًا والبعض يكتفي على كرهٍ منهُ بالقوت اليومي لان الاقدار لن تقسّم الحظوظ على احكام فريضةٍ شرعية"

وقال في انتقاد حكوماتها لانها تبقي على العدميين

"واني لاعجبُ من تلك الممالك البالغة شأوًا بعيدًا في الحكمة والحضارة والعمران والدائبة على مزاولة العلاجات الشافية لادواء الناس وسائر انواع الحيوان كيف هي نفسها تسمح بسكنى العدميين القتلة بين ظهرانيها قانعةً بمراقبتهم عن بعدٍ كأنَّ ضربها على ايديهم واستئصالها شأفتهم وصمة على تمدنها ومعرَّة على عدلها وانصافها . حقًّا ثم حقًّا ان في التمدن الاوربي الحالي مناقضات توجب ضحك الاجيال المستقبلة ان قُدّر لها الافاقة من غفلة ايامنا"

وقال في وصف محامد الاوربيين

"هذا بعض ما لاح لي ادراجهُ في موضوع هيئة اوربا الاجتماعية وعساني لا اكون مفرّطًا او مفرطًا فيما ابنتهُ عن المغمز في حضارتها وعسى الأ يفهم من انتقادي خلو اهاليها ونظام ممالكها من الشيم الغراء والسجايا السامية والقوانين المحكمة الوضع لانهم بلغوا في عمل الاحسان والخير ما لم تبلغهُ دولة قبلهم حتى كادت عطاياهم وهباتهم السنية للمدارس والملاجيء الخيرية والمستشفيات والمعارف وجميع انواع الاكتشافات في العلوم والطب والجراحة وفي مجاهل الارض واغوارها ان تكون لجسامتها ومبالغها الطائلة من قبيل القصص والروايات البعيد تصديقها . فهم سريعو النهضة لمساعدة الجنس الانساني اينما كان وكيفما كان جنسهُ ودينهُ لا يسمعون بكارثة ألمت بهِ في اي زاوية قصيَّة من زوايا الارض الأ اندفعوا لاعانتهِ عليها اندفاع السيل . كرام النفوس سخاة الاكف ان وعدوا وفوا وان اوعدوا انزلوا القضاء . يجلون اهل الفضل ولا يبخسون حق المجتهد . يحسنون تربية ولدانهم ويؤاسون شيوخهم . فهم قوم في هذه الخصوصيات بلغوا اعلي طباق المحامد لا يعوزهم سوى الوجه الباش . وقد بلغوا من الحكمة والدقة والبراعة وحسن التدبير في نظاماتهم العسكرية والقضائية والملكية والمالية مبلغًا شهدت بهِ امنع الممالك واقصاها واغمض الدعاوي واغلقها واعقد المسائل السياسية واشكلها وما نزف من جيوب اهل الشرق طرًّا . فهم اقوام اتخذوا طلب المزيد في كل شيءٍ ديدنًا وحسبوا القناعة والوقوف في ما صاروا اليهِ عيًّا وتأخرًا"

واكثر ما في الكتاب وصف كما لا يخفى لانهُ خبر رحلة وقد ادمج فيهِ حقائق تاريخية كثيرة كقولهِ في وصف بقايا بومبي

" ان بومبي كانت مدينة عامرة انيقة يسكنها علية الرومان ويؤمها كبراؤهم على مدار فصول السنة استنشاقاً لهوائها البليل واستشفاء بمائها النمير لاعتقادهم انها وما جاورها من المصايف والقصبات احسن مناخاً واطيب هواء من سائر المدن الجنوبية فلهذا استجمعت على ما دلت الآثار كل صنوف الملاهي الرومانية واباحت ما تأباهُ الاعصر الحالية من انواع التهتك وضروب المجون . ففي يوم من ايام السنة التاسعة والسبعين للميلاد اطبقت بغتة عليها وعلى جارتها هركولانيوم وعلى قصبات عديدة حولهما سحاب رماديٍ كثيف وظلمة من سيلهِ الهتون اضاعت على الاهالي طريق النجاة . ذلك ان الجبل الناري فزوف ثار ثوراناً خارقاً للعادة وامطرهما وامطر الجوار الى مسافات بعيدة ثلاثة ايام بلياليها دون انقطاع سيلاً هطّالاً من الرماد دفن المدينتين وما حوتا وارجع البحر بما القاهُ من الرماد على ساحلهِ مسافة اميال عن بومبي . وكنتُ قرأتُ اذ كنت يافعاً روايةً لكاتب من الانكليز سماها " آخر ايام بومبي " اورد فيها حكاية خادمة وُلدت عمياء فلما نزلت النازلة واظلمت الدنيا بعيون الاهالي وضلوا عن طريق النجاة قادت هذه العمياء وليّها لان الظلمة لم تخفِ عنها طريقاً ألفت طروقها وهي عمياء كل حياتها ونجت واياهُ من التهلكة وما برحتُ الى اليومَ اتذكرها واتوق الى رؤية مكانها حتى رأيتهُ "

ثم وصف ما رآهُ من آثارها فقال

" لما خرجتُ من بيت الآثار كما ذكرتُ استملتُ طريقاً لا تحسب بعرف ايامنا وسيعة لان الاقدمين كما علمتُ لم يألفوا العرض في الطرقات فوجدتها مبلطة ببلاط كبير وسميك غير مربوع الزوايا على قول سادتنا البنائين يشبه في شكلهِ ووضعهِ ما يُرى حتى الآن في ما بقي من بقايا الطرقات الرومانية في بعض انحاء سورية ورأيتُ عليهِ اثر العجلات لكن دون ان يكون في الطريق مجال لمرور مركبتين تتعارضان ولهذا يُظن ان طرقاتها لم تكن لمرور مركبات الركوب بل لمرور عجلات النقل وربما مرور هذه ايضاً كان لهُ نظام مخصوص يمنع من وقوع تعارضها

" فدخلت اول بيت ازيح الغطاء عنهُ ايام الملك السابق فوجدتهُ بيتاً سفلياً وفي وسطهِ فسحة مربعة سماوية وحولها اروقة تظلل ابواب حجر على دائرها فمن الحجر ما هو متوسط الحجم ومنها ما هو صغيرهُ ليس لكبيرها ولا اصغرها كوة او نافذة غير الباب كأنهم كانوا يستغنون عنها بالنور الداخل بالابواب من الفسحة السماوية لكن لا يعلم كيف كانوا يستغنون عن دخول الهواء الى الحجر

"ورأَيت الحجر مفروشة بالفسيفساء التي يسمونها موزايك لكنها دون الفسيفساء المعروفة في الشرق في الدقة والتزويق والكلفة اذ ليست هذه غير كسير حجارة مربعة الشكل سوداء وبيضاء مصفوفة صفًّا بسيطًا . ثم دخلتُ الى بيت آخر فوجدتهُ يقاربهُ شكلاً ويخالفهُ تزويقًا والى ثالثٍ فكان كسابقيهِ او يزيد بوجود اركانٍ منصوب عليها تماثيل وترافيم من المرمر او من المعدن ثم الى الرابع والخامس والسادس الخ وكلها بيوت سفلية يتوسطها فسحات سماوية في وسوطها احواض من الرخام وانصاب للتماثيل والاِصنام وعلى دوائرها اروقة او مماشٍ مسقوفة يُدخل منها الى المخادع والحجر الخالية من الكوى والملونة الحيطان والمنقوشة بالرسوم والتصاوير التي يستمجها الادب وينبو عنها طرف الحشمة وقد يوجد فيها تصاوير وقائع ميثولوجية كلها وقد مرَّ عليها ما يربو علي ثمانية عشر قرنًا دفينةً تحت الثرى زاهية الالوان واضحة الرسم كأنها خرجت اليوم من يدي المصور والنقاش"

وذكر المؤلف في هذا الفصل ان سكان بومبي كانوا يصورون عورة الرجل ويتعوذون بها من العقم والمحل ولم نستحسن نشر ما كتبهُ من هذا القبيل فحذفناهُ فكتب الينا يعاتبنا على ذلك قال " لقد استفقدتُ عبارةً كنت اثبتُّها عند الكلام على بومبي .... ولم اجدها فلحظت انكم اسقطتموها عمداً رعاية للعادة العصرية في اجتناب كلما ولو على بُعد يخدش اسماع القراء من قبيل الالفاظ الآيلة معانيها الى تلك الاعضاء . فالداعي واظنني لستُ اقل منكم ابتعاداً من النطق بها انما اوردتها في محلها وربما على كره مني احتفاظاً بحقيقة تاريخية لا مناص لي من ذكرها مغزاها انهم كانوا يتعوذون بصورة العضو المذكور من نوازل العقم والامحال ويضعونها في ديارهم تميمة للخصب والاقبال . فالعجب من شؤُون عصرنا اليوم كيف اوجب الحد على مثل تلك الالفاظ ولو تحجَّبت مدلولاتها بنقاب اديب يشف عنها واباح في المنتديات الصناعية والمعاهد الفنيَّة وفي جميع المعارض العموميَّة والخصوصيَّة وضع تماثيل ابن آدم ذكراً وانثى متهتكة الاستار وصمد صورهُ كما نزل من بطن امهِ عرياناً لا بل في حالة يحمرُّ منها الخد ويندى لها الجبين وتعليقها في البيوت والاخدار . اليس في ذلك نظر يستلزم البحث في غموض احكام التمدن الحالي والتأَمُّل في كيف اباح للنظر الاشد قابليَّةً للتأَثر ما لا يبيحهُ للسمع . افيدوا وتفضلوا ان شئتم باثبات كتابي هذا في مقتطفكم الاغر"

هذا وبديهي اننا حذفنا العبارة التي اشار اليها لاننا واثقون ان كتاب رحلتهِ سيشيع كثيراً ويقراهُ ابناؤنا وبناتنا فلم نستحسن ان نبقي فيهِ ما يخجلون من التلفُّظ بهِ على مسمع من والديهم . وهذا الخجل عادة سواء كان بالرؤْية او بالتلفُّظ وهي متملكة من اهالي بلادنا

لطول عهدهم بها فاذا حاولوا نزعها لم يتيسر لهم الاَّ بعد زمان طويل ولا بدَّ من ان يكون ذلك تدريجًا حتى لا تنفر منهُ الطباع . ويظهر لنا انهُ اذا الفت الاذن ما الفتهُ العين لم تعد تنفر ولا تخجل ممَّا تنفر وتخجل منهُ الآن

والكتاب كلهُ فوائد وفكاهات ننصح لكل احد ان يطالعهُ ويحتفظ بهِ. وهو مطبوع طبعًا حسنًا في مطبعة المقتطف

ابحاث المجتهدين

في الخلاف بين النصارى والمسلمين

تاليف نقولا افندي غبريل

هذا الكتاب من كتب الجدل النادرة التي يتوخَّى اصحابها ظهار الحق . ويظهر منهُ ان صاحبهُ واسع الاطّلاع لا يقتصر في تأييد حجتهِ على التوراة والانجيل والقرآن والحديث وكتب التفسير بل يستشهد بكتب التاريخ ومباحث العاديَّات كما ترى في كلامهِ على الصلب وصحة التوراة فقد قال في الكلام على الصلب " ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي قد اشار في تاريخهِ الى صلب المسيح قائلاً ان بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بطلب رؤساء الكهنة بيننا والذين احبوا المسيح اولاً لم يتركوهُ وهم باقون للآن يدعون مسيحيين نسبة اليهِ . وكتب الحاخام يوحنان بن زكا تلميذ هلل الشهير كتابًا في العبرانية منذ زمن قديم ذكر فيهِ حكم اليهود على المسيح بالصلب لادعائهِ انهُ ابن الله وانهم علقوهُ على شجرة خارج اورشليم . وكتاب التلمود ذكر عرضًا صلب المسيح . وذكرهُ تاستوس المؤرخ الوثني في الفصل الخامس عشر من مؤلفهِ المكتوب بعد المسيح بنحو اربعين سنة ناقلاً ذلك عن التقرير الرسمي المحفوظ في سجلات رومية . وقد اشار الى هذا التقرير فلافيوس جوستنيوس الفيلسوف عندما خاطب الامبراطور انطونينوس بيوس سنة ١٣٩ للمسيح واشار اليهِ العالم ترتوليانوس القرطاجني سنة ١٩٩ "

واستدلَّ على صحة التوراة من صدق ما جاء فيها من النبوات التي قيلت قبل اتمامها بسنين كثيرة كنبوَّة حزقيال الذي قال ولا يكون بعد رئيس من ارض مصر

اما الادلة في سائر فصول الكتاب فليست من هذا القبيل بل اكثرها قاصر على الآيات الكتابية والتفاسير النقلية والترجيحات العقلية

وثمن هذا الكتاب اربعة غروش وهو يطلب من مطبعة المعارف بالفجالة ومن المكتبة الانكليزية ومن مكاتب الاميركان بمصر والارياف ومن سائر المكاتب الشهيرة في القطر المصري

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) الذكاء

مليج . رياض افندي سليمان . هل الذكاء امرٌ طبيعي في الانسان اكتسبهُ بالوراثة من والديهِ او هو نتيجة العلم والاختبار

ج يولد الانسان وفي دقائق دماغهِ قابليَّات كثيرة وفي جملتها القابليات الى ما نسميهِ بالذكاء وهي موروثة في الغالب من والديهِ واسلافهما وقد يتولَّد بعضها فيهِ تولُّداً باجتماع قابليتين مختلفتين من والديهِ او باسباب اخرى طبيعية . ثم اذا كبر فالاحوال التي تعرض لهُ والوسائل التي تستعمل لتربية عقلهِ وتهذيبهِ وتثقيفهِ تؤثر فيهِ فتزيد ذكاءهُ او تضعفهُ حسب اختلاف تأثيرها

(٢) اللغة العامة

ومنهُ . أَصحيح ان العلماء آخذون الآن في التوصُّل الى استعمال لغة واحدة في كل اقطار المسكونة وهل ذلك ميسور لهم في الزمن القريب

ج لقد حاول البعض وضع لغة عامة للكتابة لا للتكلم ورأينا واحداً منهم منذ نحو سبع عشرة سنة جاء بيروت لهذه الغاية واسلوبهُ حسن ولكن العمل بهِ صعب ولو كان النجاح ميسوراً لهُ لنجح . اما وضع لغة عامة للتكلم ايضاً كما هو مفهوم سؤالكم فلا نظن انهُ يخطر على بال العلماء ولا على بال الجهلاء لا لانهُ مستحيل لذاتهِ بل لان احوال الناس الحاضرة وانقسامهم الى امم وممالك متخالفة متباينة يمنع اجماعهم على لغة واحدة فاذا خضع الناس كلهم لملك واحد وصاروا مملكة واحدة لا يتعذَّر عليهم ان يقتصروا على لغة واحدة وهذا بعيد الوقوع قد لا يحدث الاَّ بعد مئات كثيرة من السنين

(٣) الاستحمام بالماء البارد

ومنهُ . هل الاستحمام بالماء البارد مفيد صحياً وان كان مفيداً فما هو انسب وقت للاستحمام وهل يمكث الانسان في الماء طويلاً

ج نعم يفيد في الضعف العام وفي الامراض المزمنة وفي حال الصحة عموماً . واصلح الاوقات الصباح بعد القيام من النوم قبل الفطور للاقوياء وبعدهُ للضعفاء ويجب ان تكون مدتهُ قصيرة بضع دقائق . ويجب ان لا يبرد المستحم فان برد فلا فائدة من الماء

البارد بل منهُ ضرر . ولا بدَّ من فرك الجسد بعد الاستحمام بالماء البارد

(٤) وفيات النساء

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . لماذا يزيد عدد الوفيات من النساء على عدد الوفيات من الرجال

ج اذا كان نساء بلادٍ اكثر من رجالها فمن الضرورة ان يزيد عدد الوفيات من النساء على عدد الوفيات من الرجال اذ لا بدَّ من موت الفريقين واذا كان عدد الرجال اكثر من عدد النساء فالوفيات من الرجال اكثر من الوفيات من النساء . والغالب ان الفرق قليل جدًّا بين عدد الرجال وعدد النساء ولذلك يكون الفرق بين وفياتهم ووفياتهنَّ قليلاً ايضاً

(٥) انكلترا والصين

ومنهُ . ان كانت انكلترا انتصرت على الصين في حرب الافيون وكسرت نفوس اهلها فلِمَ لم تستولِ عليها في ذلك الحين

ج لانها لم تكن قاصدة الاستيلاء عليها ولم تدفعها الاحوال الى هذا الاستيلاء . ومن قرأ تاريخ حروب الانكليز في الهند وافريقية يجد انهم قلَّما قصدوا قصدًا الاستيلاء على بلادٍ من البلدان بل اضطرَّهم سكانها الى ذلك اضطرارًا اي انهم ليسوا مثل الملوك الغزاة الذين نقرأُ عنهم في تاريخ مصر واشور يخرجون للغزو والامتلاك بل يدخل تجارهم بلادًا بقصد الاتجار فيعتدي عليهم اهلها وترسل جنودهم قصد معاقبة المعتدين او منعهم من العود الى الاعتداء فلا يمتنعون بل يزيد اعتداؤُهم وتضرم نار الحرب وتتوالى امور كثيرة من هذا القبيل كأَنها مسخرة تسخيرًا لجعلهم يمتلكون تلك البلاد غصبًا عنهم . فاذا لم يحدث شيءٌ من ذلك او اذا تلافى الوطنيون الامر بالتي هي احسن ولم يضطروا الانكليز اضطرارًا الى امتلاك بلادهم بقيت لهم من غير نزاع الاَّ اذا كانت البلاد قفرًا لا مالك لها فان رجالهم قد يرفعون عليها العلم البريطاني فيمتلكونها بالحق الاول من حقوق التملك وهو سبق وضع اليد

(٦) حرق المدن بسبب الوباء

ومنهُ . سمعت ان مدنًا كثيرة احترقت في الزمن الماضي لتفشي الوباء فيها فلماذا لا تحرق كل مدينة يشتد فيها ضررهُ كبومباي

ج لان الضرر من حرقها عظيم جدًّا ولا تستأصل بهِ شأفة الوباء من الدنيا ولم نسمع ان المدن كانت تحرق لاجل الوباء . اما احتراق مدينة لندن وقت انتشار الموت الاسود فيها فلم يكن عن قصد لاستئصال الوباء منها مع ان الوباء استئصل منها بحرقها على ما قيل . واذا كان الوباء منتشرًا في قرى صغيرة وتعذَّر تطهيرها منهُ فيكون من الحكمة حرقها والتعويض على اهلها من مال الامَّة

(٧) اعتصاب العمال

ومنهُ . هل ترون ان مستقبل العمال في

مصر يكون مشابهاً لما عليهِ العمال في الغرب من جهة الاعتصاب الناشيء عن المزاحمة الحاصلة بين العمل ورأس المال فقد سمعت ورأيت' ان العمال في مصر بدأُوا يشعرون بالميل الى التخلص من النير القديم والشدة الماضية

ج لا بُدَّ من ان يحدث عندنا ما حدث في أُوربا ولكن لا سبيل الى اتساع نطاق الاعتصاب هنا لان ليس عندنا معامل كبيرة ولا ينتظر ان توجد هذه المعامل وعسى ان لا نضطر اليها بل يبقى نطاق الزراعة واسعاً لمعيشة الاهلين ولا خوف من اعتصاب اهل الزراعة ولا سيما اذا بقي توزيع الاطيان شائعاً في البلاد

(٨) غرائب الاتفاق

ومنهُ . بماذا تعللون حدوث بعض الوقائع عقب التفكير بها فقد نُقل اليَّ واتفق لي مثل ذلك مراراً اذ كنت افكر في اشياء ثم لا يمضي قليل حتى أَراها حدثت

ج لقد حاولنا ايضاح ذلك غير مرة كما ترون في الكلام على غرائب الاتفاق في المجلد الثاني عشر وفي المجلد الثامن عشر من المقتطف ولم نزل على رأْينا في تعليلها وهو انها كلها اتفاقات ولو لم تتفق بعض الحوادث لكان ذلك اغرب من اتفاقها. ونعيد هنا ما قلناهُ في المجلد الثامن عشر وهو "حبذا لو انتبه القراءُ الى هذا الموضوع وكتبوا ما يقع لهم من غرائب الاتفاق وتحرَّوا الدقة التامة فيهِ لعلهُ يكون سبباً لاكتشاف حقيقة غير معروفة حتى الآن"

(٩) استخدام حرارة الشمس

ومنهُ . كيف يمكن استخدام حرارة الشمس وخزنها للاستعاضة بها عن الفحم الحجري اذا نفد من مناجمهِ

ج ان نفاد الفحم الحجري بعيد جداً لانهُ لا يقل في مكان حتى توجد منهُ مناجم واسعة في اماكن اخرى . لكن يمكن استخدام حرارة الشمس بسهولة بخزن مياه الامطار في اماكن مرتفعة واجرائها منها فان ماء المطر يصعد من البحر بحرارة الشمس فالقوة التي يتحدَّر منها من جوانب الجبال بعد ان يقع عليها مطراً مستمدَّة اصلاً من حرارة الشمس وفي المطر الواقع من السماء من القوة ما يساوي مئة الف مليون حصان على حسب ما قدرتهُ حديثاً جريدة ناتشر العلمية ولا يتعذَّر الانتفاع بجزءٍ كبير منهُ

(١٠) بالون زبلن

ومنهُ . هل تصدقون ان بالون الكونت زبلن الالماني يصل يوماً ما الى نقل الاثقال من جهة الى اخرى

ج هو ينقل الاثقال الآن ولكنهُ لا ينقلها نقلاً منهُ ربح تجاريٌّ فاذا استطاع ان ينقل صندوقاً من مصر الى الاسكندرية وبلغت نفقة نقلهِ بهِ عشرة غروش وكانت نفقة نقلهِ بسكة الحديد ثلاثة غروش وكان الزمن واحداً فكل احد يفضل النقل بسكة الحديد

على النقل بهِ . ولا يظهر ان نفقاتهِ ستقلُّ كثيرًا عما هي الآن

(١١) تعريب اوركسترا

مصر . حافظ افندي سليمان . قرأت في المقتطف رواية القلب الكسير تعريب خليل افندي ثابت فوجدت فيها كليمات افرنكية مكتوبة بالعربي لفظاً ككلمة اوركسترا ولم افهم هل ضاقت بحضرتهِ اللغة العربية حتى يضع هذه الكلمة ولاي امر لم يتعاون كتابنا علي رفع شأن العربية

ج لا نظن ان اللغة العربية ضاقت على حضرة المعرّب وهو من اكتب الكتّاب بها فكان يستطيع ان يعربها بمجلس المغنين او يقتدي بكتاب مصر فيستعمل كلمة "تخت" الفارسية ولعلهُ ابقى على الكلمة الانكليزية اليونانية الاصل لان الاوركسترا تطلق على مكان المغنين وعلى مجتمع آلات خاصة من آلات الغناء . والكلمة مألوفة الآن في بلاد الشام او في مدينة بيروت خاصة . وقد نقل اسلافنا العرب كل الكلمات الخاصة بالموسيقى من اللسان الفارسي كما ترون في يكاه وعشيران وعراق ورست ودوكاه وسيكاه وجهار كاه ونوى وحسيني واوج وماهور و بزرك وماهوران ونقلوا كلمة موسيقى من اليونانية ولم يسمعوا كلمة تعنيف ولا كلمة لوم من ابناء عصرهم فهل كانوا اقل حرصاً منَّا على اللغة او كانت نفوسهم اكبر من نفوسنا وصدورهم ارحب من صدورنا

(١٢) كلمة تواليت

ومنهُ . ما معنى كلمة تواليت الموضوعة باعلان الخواجه استيفنسن بآخر المجلة ولاي شيءٍ لم يوضع معناها العربي أيضاً مع ان الاعلان مترجم في المطبعة

ج الظاهر ان الذي ترجمها يعلم انها مستعملة في مصر بهذا اللفظ والذين يقرأون الاعلان يفهمونها . وكلمة توالت Toilette فرنسوية الاصل لكن الانكليز يستعملونها بلفظها الفرنسوي وكذلك الطبقة العليا من المصريين . والغرض من نشر الاعلان تجاريٌّ لا لغوي فاذا اردت ان تبيع قطنك ورأيت ان المشتري لا يفهم منك اذا كلمتهُ بلسان عربي فصيح فلا يشتري القطن منك اضطررت ان تكلمهُ باللسان المصري العامي او بلسان اقرب الى التليانية منهُ الى العربيَّة . واللغة وسيلة لا غاية

(١٣) سكان يابان

مصر . محمد افندي امين كم عدد سكان يابان وكم عدد التلامذة في مدارسها

ج كان عددهم نحو ٤٤ مليونًا منذ ست سنوات وهم يزيدون نحو نصف مليون كل سنة فيكون عدهم الآن نحو ٤٧ مليونًا وعدد سكان فرموسا التي اخذتها يابان من الصين نحو ثلاثة ملايين نفس وفي بلاد يابان نحو ٢٨ الف مدرسة ونحو اربعة ملايين ونصف من التلامذة

باب الاخبار العلمية

الأُكابي

وجد السر هري جنستن حيوانًا في اوغندا بافريقية متوسطًا في شكلهِ بين الزرافة والفرس يسميهِ اهالي تلك البلاد بالاكابي وقد ظُنَّ اولاً انهُ من نوع الحيوان المنقرض المسمَّى هلادوثاريوم لكن الاستاذ لنكستر اثبت انهُ نوع جديد قائم برأسهِ وهو مشقوق الظلف مخطط القوائم قصير العنق كبير الراس جدًّا لهُ فنطيسة كفنطيسة الخنزير واذنان كبيرتان كاذني الحمار ونتوان بينهما كان فيهما قرنان ولم يبقَ منهما الآن الاَّ قليل من الشعر. رأسهُ ابيض مصفر وفنطيستهُ سوداء وجبهتهُ حمراء ولون اذنيهِ اسمر ضارب الى الحمرة وكذلك لون عنقهِ وكتفيهِ وظهرهِ وبطنهِ وتشتدُّ حمرتها في بعض الاماكن وسمرتها في غيرها والخطوط على قوائمهِ الاربع بيضاء وسوداء يصحُّ فيهِ قول النابغة "من وحش وجرةَ موشيٍّ اكارعهُ" وكذلك اظلافهُ معلمة بالابيض والاسود. وعلو الاكابي سبع اقدام عند كتفيهِ فهو اعلى من اكبر الخيل بنحو قدم ونصف وطولهُ عشر اقدام وثقلهُ طنٌّ وطعامهُ من اوراق الاشجار ويقال انهُ سريع العدد يسبق الفرس ولم يتمكن احد من صيدهِ حيًّا حتى الآن لشدة نفارهِ وسرعة عدوهِ والهمة مبذولة لجلبهِ حيًّا الى اوربا

وحوش اواهل

قال السر هري جنستن انهُ مرَّ بارضٍ في قلب افريقية كانت وحوشها تدنو منهُ ومن رجالهِ كالدواجن لانها بعيدة عن البشر فلم ترَ منهم حتى الآن ما يخيفها فكانوا يمرون وسط اسراب الافيال فلا تنفر منهم ويرون وحيد القرن افرادًا وازواجًا فلا يضرُّ بهم وكانت حمر الزرد والايائل ترافقهم مسافات طويلة عن كثب والتقوا باسود كثيرة فلم تلتفت اليهم. ورأَى في اطراف حراج الكنغو اناسًا يشبهون القرود كثيرًا وهم غير الاقزام الذين وصفهم ستانلي لانهم طوال القامة مثل سائر الزنوج

بستان الحيوانات

كان في بستان الحيوانات بالجيزة في آخر العام الماضي ٦٧٠ حيوانًا من ١٤٩ نوعًا الوحوش منها ٢٥٣ والطيور ٣٧١ والزحافات ٤١ والضفدعيات ٥ وقد أُنفق على طعامها ستمئة جنيه فمتوسط نفقة الحيوان منها نحو جنيه في السنة. ونفقة البستان كلهِ على طعام

الحيوانات واجور الرئيس والعمال واصلاح اماكن الحيوانات ٢٦١٣ جنيهاً دفعت الحكومة منها ١٧٢٠ جنيهاً وحصل ٩٧٩ جنيهاً من رسم الدخول و٢٥ جنيهاً من ركب الاولاد علي الفيل

هبة كارنجي العلميَّة

ذكرنا في الجزء الماضي ان المستر اندرو كارنجي المثري الشهير وهب مدارس سكتلندا مسقط رأسهِ مليونين من الجنيهات وقد وقفنا الآن على تفصيل ما يراد عملهُ بهذه الهبة وخلاصتهُ ان ريع الهبة السنوي ١٠٤٠٠٠ جنيه اي قدر ميزانية نظارة المعارف المصرية ينفق نصفهُ على اصلاح المدارس الجامعة في سكتلندا وتوسيع نطاق العلم فيها من حيث البحث العلمي ومن حيث التعليم و ينفق النصف الثاني لتلامذة هذه المدارس يدفعونهُ اجرة تعليمهم سواءٌ كانوا ذكوراً او اناثاً. وقد اقام علي هذه الهبة تسعة اوصياء واطلق لهم الحرية لينفقوا الريع في السبيل الذي يحسبونهُ مطابقاً لغرضهِ على ما تقتضيهِ احوال الزمان ويعمل بما يقرُّ ثلثاهم عليهِ

سكان باريس

بلغ سكان باريس الآن ٢٧١٤٠٦٨ وكانوا منذ خمس سنوات ٢٥٣٦٨٣٤ فزادوا نحو سبعة في المئة في خمس سنوات

التلوتوغراف

التلوتوغراف تلغراف تنقل الكتابة بهِ كما هي واجزاؤُهُ الجوهرية في المرسل والمستقبل قلم متصل بمخلين يحركان ساعدين على ريوستاتين فاذا امسك انسان القلم بيدهِ وكتب بهِ على ورقة تحرَّك المخلان المتصلان بهِ والساعدان فتغيرت قوة المجرى الكهربائي وانتقل هذا الفعل الى ريوستاتي المستقبل فحرَّك ذراعيهِ ومخليهِ والقلم المتصل بهما فكتب على قرطاس تحتهُ كتابة تشبهُ الكتابة بالقلم الاول لانهُ يتحرك مثلهُ

اخترع هذه الآلة المستر فوستر رتشي وقد رأينا صورة كتابة كتبت بها وصورتها على القرطاس الذي ظهرت عليها وكان طول السلك بين المرسل والمستقبل ثلثمئة ميل

ضرر التبغ

يظهر من مقالة نشرت في جريدة اللانست الطبيَّة ان النيكوتين الذي في التبغ قليل الضرر او لا ضرر منهُ وان الضرر من مادة أُخرى اسمها البريدين وان تدخين التبغ في السكاير اقل اساليب التدخين ضرراً ويتلوهُ التدخين بالبيب (الحجر) فانهُ اكثر منهُ ضرراً ثم التدخين بالسيكار الافرنجي فانهُ اشد طرق التدخين ضرراً

هبة علميَّة

وهب المستر ركفلر خمسين الف جنيه

لاجل البحث الطبي في اميركا فتنشأُ بها دار مثل دار باستور لاجل البحث في المواضيع الطبيَّة

السفن التجارية وتلغراف مركوني

كان المظنون ان استعمال تلغراف مركوني يبقى مقتصرًا على البوارج الحربيَّة . لكن السفن التجارية تبارت مع البوارج في هذا المضمار فصارت السفن التي تقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا تضع آلة تلغراف مركوني فيها ويرسل ركَّابها اخبارهم الى اصدقائهم في اوربا او اميركا وهم على ظهر البحر فتصل الاخبار الى الشاطىء وترسل من هناك بالتغراف العادي الى من يراد ارسالها اليهِ واذا ابعدت السفينة عن البر كثيرًا حتى تعذر وصول الاشارات اليهِ اوصلت الى سفينة اخرى في منتصف الطريق وهذه ترسلها الى البر

مذنب انكي

مذنب انكي من ذوات الاذناب التي تتم دورتها حول الشمس في زمن قصير . ظهر آخر مرة سنة ١٨٩٨ وينتظر ظهورهُ هذه السنة في اواسط شهر سبتمبر المقبل وهو صغير لا يكاد يرى بالعين المجردة

معرض سنت لويس

يهتم الاميركيون الآن بانشاء معرض كبير في مدينة سنت لويس سنة ١٩٠٣ وقد عينوا لانشائهِ خمسة عشر مليونًا من الريالات الاميركية اي ثلاثة ملايين من الجنيهات

دواءٌ لسع البعوض

اكتشف الاستاذ ڤوجس مدير مجلس الصحة في بونس ايرس ان النفتالين يزيل كل الم من لسع البعوض ولا يبقي لهُ اثرًا في الجلد فهو ترياق للسائل السام الذي في البعوض

رخص الهيدروجين

اكتشف رجل انكليزي اسمهُ هوبن اسلوبًا رخيصًا جدًّا لاستحضار مقادير كبيرة من الهيدروجين وهو ان يضغط الاسيتلين في آنية من الصلب ويحرق فيها بالكهربائية فيرسب كربونهُ عليها هبابًا ويبقى الهيدوجين نقيًّا . ويقال ان هذا العمل رخيص جدًّا فيسهل بهِ استحضار كميات كبيرة من الهيدوجين للبالونات ونحوها

اثمن اليخوت

من اثمن اليخوت يخت صنعهُ المستر بنت صاحب جريدة نيويورك هرلد بلغ ما انفق عليهِ مئة وخمسة وعشرين الف جنيه وغرفهُ ومقاصيرهُ ليس افخر منها في قصور الملوك

الطاعون في القطر

ظهر الطاعون في الزقازيق فجأة في السابع من ابريل وسار سيرًا بطيئًا جدًّا وظهرت

منهُ حوادث قليلة في الاسكندرية والمنيا وبورت سعيد وبلغت الاصابات كلها حتى آخر يونيو ٧١ توفي منها ٣٠ وشفي ١٣ وبقي تحت المعالجة ٢٨ اكثرهم في الزقازيق

اسرع القطارات

سار قطار في اميركا ١٤٩ ميلاً في ١٣٠ دقيقة فبلغت سرعتهُ نحو ٦٩ ميلاً في الساعة وقطع خمسة اميال من هذه المسافة بدقيقتين ونصف دقيقة فكانت سرعتهُ فيها ١٢٠ ميلاً في الساعة

اشعة بكرل

اكتشف المسيو بكرل العالم الفرنسوي سنة ١٨٩٥ انهُ تنبعث اشعة من عنصر الاورانيوم تشبه اشعة رنتجن فسميت بالاضافة اليهِ ثم اتضح ان هذه الاشعة لا تصدر من الاورانيوم نفسهِ بل من عنصر آخر. ويظهر الآن من بحث مدرسة الصنائع العليا في برلين ان هذا الامر صحيح وانهُ سيكون لهذه الاشعة شأن عظيم جدًّا ولا تزال نتائج البحث سرية يراد افشاؤُها الى الامبراطور قبل غيرهِ

كثرة الانتحار

ينتحر في اسوج واحد من كل ٩٢٠٠٠ وفي روسيا واحد من ٣٥٠٠٠ وفي الولايات المتحدة الاميركية واحد من ١٥٠٠٠ وفي سكسونيا واحد من ٨٤٤٦ وفي بطرس برج ولندن واحد من ٢١٠٠٠. والانتحار آخذ في الازدياد في اكثر البلدان الاوربية فمن سنة ١٨٢٦ الى سنة ١٨٩٠ زاد ٧٢ في المئة في بلجكا و٤١١ في المئة في روسيا و٢٣٨ في المئة في سكسونيا و٧٢ في المئة في اسوج و٣٥ في المئة في الدنمارك

اكبر البواخر

صُنعت الباخرة الكبرى في بلاد الانكليز وأُنزلت الى البحر واسمها "السلتك" طولها ٧٠٠ قدم وعرضها ٧٥ قدمًا وعمقها ٤٩ قدمًا ومحمولها ٢٠٨٠٠ طن وفيها تسع طبقات للركاب والامتعة والوسق وهاك قياس اكبر البواخر

الاسم	الطول	العرض	المحمول
الشرقي العظيم	٦٩١	٨٢	١٨٩١٥ طنًا
باريس	٥٧٠	٦٣	١٠٥٠٠ "
كمبانيا	٦٢٠	٦٥	١٢٩٥٠ "
القيصر وليم	٦٤٨	٦٦	١٤٣٤٩ "
الاوشيانيك	٧٠٥	٦٨	١٧٢٧٤ "
الدتشلند	٦٨٦	٦٧	١٥٥٠٠ "
السلتك	٧٠٠	٧٥	٢٠٨٨٠ "

وتسع السلتك ٢٨٥٩ مسافرًا و٣٣٥ بحارًا

خمر فرنسا

بلغ ما صنع من الخمر في فرنسا في العام الماضي ١٧٢١٠٠٠٠٠٠ جالون

اطول سكك الحديد

يراد انشاء سكة حديدية من مدينة نيويورك في اميركا الشمالية الى بونس ايرس في طرف اميركا الجنوبية طولها ١٠٢٢٠ ميلاً وتبلغ نفقات انشائها مئتي مليون ريال اي اربعين مليوناً من الجنيهات

معرض بفلو

فتح المعرض الاميركي في مدينة بفلو وهو خاص باميركا وقد قامت بهِ مدينة واحدة لكن يظهر من صور مبانيهِ المختلفة انهُ من اكبر المعارض الخاصَّة ولا غرابة في ذلك لان حكومة اميركا وهبتهُ مئة الف جنيه وولاية نيويورك وهبتهُ ستين الف جنيه ووهبتهُ بقية الولايات هبات طائلة من خمسة عشر الف جنيه الى الفي جنيه وحالما قرَّ القرار على انشائهِ اكتتب لهُ بعض اغنياء اميركا بمئتي الف جنيه

محاربة داء الزهري

خطب الاستاذ فورنيه في باريس فاستدعى همَّة الاطباء ورجال الدين ورجال السياسة لينهضوا كلهم نهضة واحدةً ويقوا البلاد والعباد من آفة داء يفسد البنية و يصرم حبل الحياة . وطلب من كهنة الكاثوليك وقسوس البروتستانت وحاخامي اليهود ان يبذلوا اقصى جهدهم في التعليم والانذار والترغيب في الزواج الباكر والنهي عن قراءة الروايات وحضور اماكن التمثيل . ومن رجال الحكومة ان يمنعوا المصابين بهذا الداء من ان يعدوا غيرهم قائلاً اذا كان في بلد كلب كلِبٌ وجب على رجال الحكومة ان يقتلوهُ او يمنعوهُ من عقر الناس فيجب عليهم ان يمنعوا كل مصاب ومصابة بهذا الداء من نقل العدوى الى الغير لا بالقتل بل بالحجز والمداواة وطلب منهم ايضاً ان يسهلوا السبل لتطبيب الفقراء مجاناً واعطائهم الدواء مجاناً ايضاً . قال ولا بدَّ من ان يكشف امر هذا الداء لتلامذة المدارس ويحذَّروا منهُ تمام التحذير

النطق واليد اليسرى

ظهر للاستاذ سمدلي الاميركي انهُ اذا منع الولد الاعسر من استعمال يدهِ اليسرى ايفت قوة النطق فيهِ فنما لا يحسنهُ كأَن بين استعمال اليدين وقوة النطق علاقةً ما فاذا مُنع الولد من الجري على مقتضى طبعهِ في استعمال يديهِ امتنع تكامُل قوة النطق فيهِ

مجاعة الهند

لم يزد عدد سكان الهند في السنوات العشر الاخيرة سوى ٢٨ مليوناً وكان يجب ان يزيدوا ٥٢ مليوناً فقلَّت زيادتهم ٢٤ مليوناً اربعة ملايين منها قلَّت في المواليد عمَّا ينتظر وعشرون مليوناً ماتوا بالجوع والوباء . اما الذين ماتوا منهم بالوباء (اي بالطاعون)

فنحو مليون نفس والباقون وهم ١٩ مليونًا ماتوا بالجوع او بالامراض الناشئة عنهُ

الغناء وقت التبنيج

رأَى المسيو دروسنه طبيب الاسنان انهُ اذا بنَّج احدًا ليقلع ضرسهُ وسمع هذا اثناء فعل البنج بهِ اصواتًا مزعجة اظهر الكدر الشديد. فجعل يُسمع المبنج اصواتًا موسيقية مطربة فرآه يطرب من ذلك و يقول حينما يفيق من فعل البنج انهُ كان في حلم مطرب جدًّا. وقد ظن انهُ يمكن استخدام الموسيقى وقت البنج في العمليات الجراحية فيكون منها فائدة كبيرة

نسبة الاطباء في اميركا

أُحصي عدد الاطباء في الولايات المتحدة الاميركية فظهر انهُ يوجد فيها طبيب لكل ٦٥٥ نفسًا من السكان وذلك نحو ثلاثة اضعاف ما يوجد في المانيا فان فيها طبيبًا لكل ٢١١٤ نفسًا من السكان

المسكرات والافيون

لما سُنَّت الشرائع لمنع المسكرات في الولايات المتحدة الاميركية كثر استعمال الافيون فيها فقد وجد الاستاذ غرنل انهُ يباع كل شهر فيها ٣٣ مليون جرعة من الافيون ونحوهِ ويراد بالجرعة قمحة من الافيون او ثمن قمحة من المورفين او عشرين نقطة من اللودنوم او نصف اوقية من صبغة الافيون

معرض غلاسكو

ان معرض بفلو الذي اشرنا اليهِ في مكان آخر خاص باميركا الشمالية والجنوبية لا يُسمح لاحد من اوربا واسيا وافريقية ان يعرض فيهِ شيئًا واما معرض غلاسكو الذي فتح ببلاد الانكليز فعام دُعي كل الناس من كل البلدان للعرض فيهِ

نفقات سكك الحديد

تبلغ نفقات الميل من سكك الحديد في المانيا ٢٠ الف جنيه وفي فرنسا ٢٥ الف جنيه وفي بلجكا ٢٨ الف جنيه واما في انكلترا فتبلغ ٥٠ الف جنيه لا لان نفقات السكة والمركبات تبلغ ضعفي ما تبلغهُ في فرنسا بل لان الشركات تنفق مليون جنيه فتصدر اسهمًا بمليوني جنيه اي تنفق مليونًا وتأْخذ مليونًا لنفسها ولهذا فاجرة النقل في السكك الانكليزية اغلى مما هي في كل مكان آخر. و يظهر لنا ان الشركات الانكليزية عازمة ان تفعل في مصر ما فعلتهُ في بلادها وهذا غبن فاحش لا يصحُّ السكوت عنهُ

سكان لندن

كان عدد سكان لندن ٦٧٢ الف نفس سنة ١٦٢٣ فبلغوا الآن نحو خمسة ملايين من النفوس وكان سكان البلاد الانكليزية كلها نحو سبعة ملايين نفس وهم الآن اكثر من اربعين مليونا

فهرس الجزء السابع من المجلد السادس والعشرين

٥٧٧ المدرسة الكلية ومكتبتها (مصوَّرة)

٥٧٩ الغوَّاصة العثمانية (مصوَّرة)

٥٨٠ طبائع الضفدع (مصوَّرة)

٥٨٥ احوال السودان

٦٠٩ الاسلام في الصين

للامير شكيب ارسلان

٦١٥ الجرائم واسبابها

لمحمد افندي ابي عز الدين

٦٢٠ اكرم الكرماء

٦٦٥ رواية امينة

٦٧٤ اغنياء اميركا

لنسيم افندي بر باري

٦٨٠ الكونت تولستوي الروسي

٦٨٧ باب تدبير المنزل ✫ صبغة الشعر · فطام الاطفال · المراة ونفقات البيت · تعليم الاطفال تمليح اللحم

٦٩٣ باب الصناعة ✫ لحام الاليومنوم · حفظ الدم · اركان الصناعة · الجبر في البناء · اكبر القناطر · المناظرة في الحديد

٦٩٢ باب التقريظ والانتقاد ✫ سياحة في غربي اوربا · ابحاث المجتهدين

٧٠٢ باب المسائل ✫ الذكاء · اللغة العامة · الاستحمام بالماء البارد · وفيات النساء · انكلترا والصين · حرق المدن بسبب الوباء · اعتصاب العمال · غرائب الاتفاق · استخدام حرارة الشمس · بالون زبلن تعريب اوركسترا · كلمة تواليت · سكان يابان

٧٠٦ باب الاخبار العلمية · الاكابي · وحوش اواهل · بستان الحيوانات · هبة كارنجي العلمية سكان باريس · التلوتوغراف · ضرر التبغ · هبة علمية · السفن التجارية وتلغراف مركوني · مذنب انكي · معرض سنت لويس · دواء لسع البعوض · رخص الهيدروجين · اثمن البخوت · الطاعون في القطر · اسرع القطرات · اشعة بكرل · كثرة الانتحار · اكبر البواخر · خمر فرنسا · اطول سكك الحديد · معرض بفلو · محاربة الداء الزهري · النطق واليد اليسري · مجاعة الهند · الغناء وقت التمنيج · نسبة الاطباء في اميركا · المسكرات والافيون · معرض غلاسكو · نفقات سكك الحديد · سكان لندن

القسم الطبي من المدرسة الكلية الاميركية (انظر الصفحة ٢٣٢)

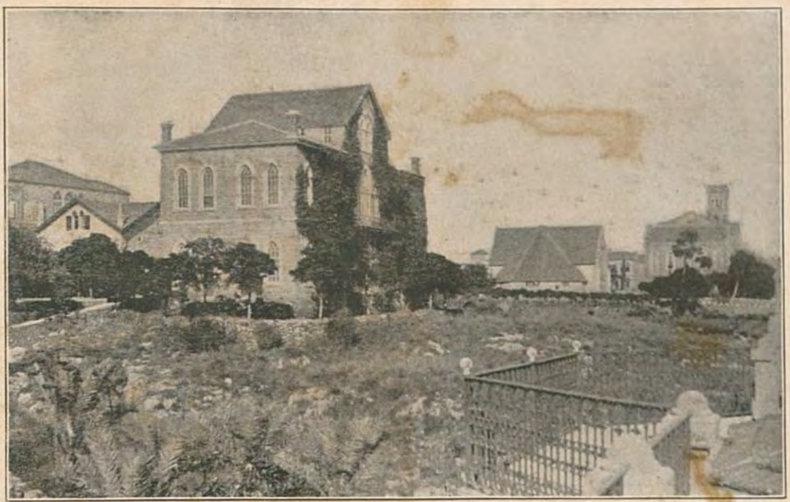

القسم الطبي

MEDICAL HALL. Rear view.

معرض الجراحة

SURGICAL MUSEUM.

معمل الزولوجيا